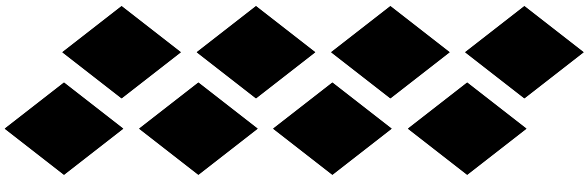

جند الشام ودعم حكم البيت المرواني
(٦٤- ١٣٢هـ/ ٦٨٣- ٧٤٩م)

د. أميمة أحمد السيد

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي

كلية الآداب – جامعة سوهاج

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مجلة كليـة الآداب بقنـــــا ـ العـــدد (٤٣) ـ سنة ٢٠١٤م

جند الشام ودعم حكم البيت المرواني
(٦٤- ١٣٢هـ/ ٦٨٣- ٧٤٩م)

مقدمة:

إن لدراسة التاريخ العسكري أهمية خاصة؛ لأن النظم العسكرية تشكل جانبًا مهمًا من جوانب الحضارة العربية العسكرية. وقد قدم كثير من الباحثين دراسات عديدة في تاريخ العرب العسكري والمعارك الفاصلة التي خاضتها الجيوش العربية الإسلامية. ومع الاعتراف بالفضل الكبير لهذه الدراسات القيمة على التاريخ والحضارة الإسلامية، إلا أنها لم تُعطِ دراسة مفردة لجيش جند الشام ودوره المهم في دعم بني أمية عامة وبني مروان خاصة في الاحتفاظ بحكم الدولة العربية الإسلامية. ولهذا جعلت من هذا موضوعًا لدراستي.

وتنقسم الدراسة إلى تمهيد، يعرض لدور جند الشام في وصول البيت السفياني إلى حكم الدولة العربية الإسلامية ومساعدتهم لمعاوية بن أبي سفيان في تحويل نظام الخلافة من الشورى إلى التوريث. كما تتناول الدراسة في إيجاز دعم جند الشام لحكم البيت المرواني في مواجهاته للمعارضة العسكرية في الحجاز والعراق والشمال الإفريقي والأندلس والجبهة البيزنطية.

ثم تتطرق الدراسة للتنظيمات العسكرية للجند الشامي ودور القبائل العربية في بلاد الشام في تكوين جيش جند الشام، ثم تطرقت إلى ديوان الجند وأهميته في تكوين جند الشام، وإيجاد ما يعرف بالتجنيد الإلزامي. وبحثت أيضًا في كيفية توزيع العطاء والأرزاق والغنائم، وكيفية تسليح جند الشام وبراعتهم في استخدام الاسلحة، وقابليتهم الفذة في الابتكار والتطوير، وتفوقهم على أعدائهم في هذا المجال. وإعطاء نبذة عن اختيار القواد وعقد الألوية والرايات.

وتنتهي الدراسة بخاتمة، نعرض فيها أبرز ما وصلنا إليه من نتائج.

والله الموفق.

تمهيد:

الأمويون هم سلالة أمية بن شمس، أحد سادات قبيلة قريش وزعمائها قبل الإسلام. وقد تطلع إلى الاستئثار بوظائف الكعبة من دون عمه هاشم بن عبد مناف، وهو جد النبي (ﷺ) لأبيه. ولما فشل أمية في تحقيق هذا الهدف، رحل إلى بلاد الشام، وقد ورث أبناء البيت الأموي عن هذا الجد الأول حب السلطان والطموح الواسع. واستطاع أحد أبناء هذا البيت، وهو سفيان بن حرب أن يقبض على الزعامة الفعلية في مكة، وقت ظهور الإسلام(١).

وقد أسلم أبو سفيان وابنه معاوية عند فتح مكة سنة ٨هـ/ ٦٢٩م، واستخدم الرسول (ﷺ) معاوية بن أبي سفيان في الكتابة له. وكذلك استعان كلٌ من أبي بكر وعمر بن الخطاب بأبناء البيت الأموي، فجعل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان أميرًا على دمشق والأردن (٢).

زاد سلطان بني أمية عندما تولى الخلافة عثمان بن عفان، الذي كان ينتمي إلى البيت الأموي. فرأى الاعتماد على أقاربه من بني أمية في إدارة الدولة، وانفرد معاوية بن أبي سفيان ببلاد الشام (٣).

أتاح حكم معاوية لبلاد الشام طوال عصر الخلفاء الراشدين السبيل لتأكيد سلطانه لتلك البلاد، وتكوين جيش قوي منهم موالٍ له، وهو جيش جند الشام، فرض به سلطانه على الدولة العربية الإسلامية. فمع قيام الثورة على عثمان بن عفان وقتله سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م، أتيحت الفرصة لمعاوية أن ينفرد بحكم الشام، وأن يتزعم البيت الأموي في المطالبة بدم عثمان بن عفان، باعتباره من أبناء البيت الأموي، ورفض معاوية الامتثال لأوامر الخليفة الجديد علي بن أبي طالب، وتصميمه على أن يتسلم قتلة عثمان، والأخذ بثأره (٤).

استغل معاوية بن أبي سفيان إثارة عواطف أهل الشام لتعبئة قواته الحربية، وسار بجيش جند الشام للتصدي للخليفة علي بن أبي طالب، الذي زحف بقواته إذ ذاك على بلاد الشام. وقد التقى الجيشان عند صفين، حيث دارت الحرب التي جاءت نتيجتها لصالح علي بن أبي طالب، عندئذ أشار عمرو بن العاص قائد جيش معاوية عليه برفع المصاحف على الرماح؛ طالبين التحكيم. واضطر علي ابن أبي طالب إلى قبول التحكيم تحت ضغط جماعة القراء (٥).

جاءت نتيجة التحكيم لصالح معاوية بن أبي سفيان، بعد نزع الخلافة من علي بن أبي طالب. ثم أخذت الأحداث تتلاحق بعد ذلك، بما يزيد موقف معاوية قوة، خاصة بعد خروج الخوارج [٦] على علي بن أبي طالب، ومحاربة علي لهم في النهروان سنة ٣٧هـ/ ٦٥٨م، وانتهى أمر علي على يد هؤلاء الخوارج سنة ٤٠هـ/٦٦١م[٧].

بعد موت علي بن أبي طالب دفعت الأحداث معاوية لتولي منصب الخلافة بعد تنازل الحسن بن علي عن حقه في الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، على شرط أن يعود الأمر بعد وفاة معاوية شورى بين المسلمين، وذلك سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، ويُعد هذا العام الميلاد الرسمي لقيام الدولة الأموية [٨].

حاول معاوية بن أبي سفيان بعد وصوله إلى الخلافة، أن يكون حكمه في ظاهر الأمر مماثلاً لحكم أبي بكر وعمر بن الخطاب، إلا أنه كان يختلف ويتميز بوجود جيش جند الشام بين يديه، والذي كان يضفي على سياسته قوة الإلزام، وبذلك فقد كان قادرًا على أن ينفذ – وبنجاح- سياسته في إدارة الدولة [٩].

اعتمد معاوية على القرشيين في المناصب المهمة في الدولة، مفضلاً أن يكسب مكانتهم وسمعتهم لصالحه، بدل أن يكونوا ضده، وعمل على تأييد القبائل العربية ذات النزعة الاستقلالية القوية، وأن يمنحها شيئًا من الحكم الذاتي، وإعطاؤها ما يرضيها[١٠].

وفي بلاد الشام كانت القبائل العربية اليمنية راضية بانتصاراتها وبحفاظها على مركزها المتميز تحت ظل معاوية. وكان بعض أفراد هذه القبائل قد طلب قبل صفين بعض الأراضي. أما بعد الحرب، فقد عادوا جميعًا إلى ديارهم في أنحاء بلاد الشام؛ ليستأنفوا حياتهم العادية [١١].

كون معاوية بن أبي سفيان من هذه القبائل جند الشام الذين كانوا عماد قوته وقاعدتها؛ لذلك أبقاهم طيلة حياته، وبكل حكمة، وحرص داخل بلاد الشام، وتجنب استخدامهم خارجها [١٢].

كانت السمة المميزة للدولة الأموية هي تطبيق مبدأ الوراثة في الخلافة، والتخلي عن القواعد التي جرت عليها انتخاب الخلفاء الراشدين في تطبيق مبدأ الشورى، فيرجع الأمر إلى معاوية الذي كان يرى أن استمرار نظام الخلافة واستقرارها يعتمد على هدوء الطريقة التي يتم بها اختيار خلفًا للحاكم. ولذلك فقد قرر أن يحذو حذو أبي بكر، فيختار

مرشحًا للحكم من بعده، مع تجنب تطبيق الشورى. وكان أمامه أكثر من مرشح واحد سواء بالنسبة للأسرة الأموية نفسها، أو بالنسبة لجند الشام وللدولة عامة [١٣].

كان أول تحدٍ واجه النظام الوراثي على يد الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي رأى أن الوقت قد حان للوصول إلى الحكم، وكان واثقًا من شيعة أبيه في الكوفة، والتفافهم حوله. فقرر السير إلى الكوفة، إلا أن بني أمية استطاعوا أن يقضوا على الحسين بن علي وجماعته في كربلاء قبل وصوله إلى الكوفة على يد عبيد الله بن زياد [١٤].

أما التحدي الثاني، فكان ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز. وقد كانت هذه الثورة تهديدًا خطيرًا للحكم الأموي؛ لذلك رأى يزيد بن معاوية أنه لا بد من القيام بعمل عسكري، يكون الهدف منه القضاء على عبد الله بن الزبير، فأعد جيشًا ضخمًا من جند الشام، وكانت عدة هذا الجيش اثني عشر ألف رجل من أهل الشام، أخذوا عطاءهم المقرر لهم كاملاً، وزادهم يزيد على ذلك بأن منح كلاً منهم مائة دينار، تسلموها قبل أن يتحركوا من منطقة تجمعهم [١٥]. وأسند قيادته إلى مسلم بن عقبة المري، وأمره بالمسير إلى المدينة، وما كاد الجيش الشامي يصل إلى جهة الحرة حتى خرج أهلها اليه فدارت بين الفريقين معركة هائلة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م أسفرت عن هزيمة أهل المدينة، واتجه مسلم بن عقبة إلى مكة، غير أنه تُوفي في الطريق، وتولى مكانه الحصين بن نمير السكوني الذي سار على رأس الجيش الشامي قاصدًا مكة [١٦].

لم يكد ابن الزبير يعلم بقدوم الحصين بن نمير مكة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، حتى تحصن بالكعبة، وأحاط قائد جند الشام الحصين بن نمير مكة بجيشه، ونصب له على جبل أبي قبيس المواجه للكعبة المجانيق. أما أصحاب ابن الزبير فتحصنوا في البيت الحرام، وبينما القتال دائر بين الفريقين، جاءهم خبر وفاة يزيد بن معاوية، مما اضطر جند الشام للانسحاب والعودة إلى بلاد الشام [١٧].

انتقلت وراثة الحكم إلى معاوية بن يزيد، والذي كان زاهدًا في الحكم، رافضًا له، ومات بعدها [١٨]. ورأى عبد الله بن الزبير أنه بعد وفاة يزيد وتنازل معاوية الثاني عن الحكم، وانقسام بني أمية على أنفسهم، أن يدعوا الناس إلى بيعته، ولقب نفسه أمير المؤمنين [١٩].

دور جند الشام في تحويل الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني:

أوقع رفض معاوية الثاني للخلافة وموته بعدها أهل الشام في فوضى سياسية، بالنسبة للقيسيين في أرض الجزيرة (والتي كانت تُعد جزءًا من بلاد الشام)، فقد حددوا موقفهم بصورة واضحة، فقد أسرعوا فدعوا لعبد الله بن الزبير، على أمل أن يكون لهم استقلالهم في أرض الجزيرة، وأكثر من هذا، فقد حصل ابن الزبير على تأييد من أهل الحجاز التي ينتمي إليها هؤلاء القيسية [٢٠].

أما بقية أهل الشام، فقد انقسموا على أنفسهم، فغالبيتهم رضوا بابن الزبير، الذي لم يحاول أن يغير في الأوضاع هناك. وكان البعض من بني كلب يريدون أن تستمر الخلافة في بيت معاوية بن أبي سفيان، ولكن ما من أحد من ذريته قد بلغ من العمر ما يؤهله لشغل هذا المنصب، غير أنه ليس لبني كلب من القوة ما يستطيعون بها أن يفرضوا على بقية أهل الشام رأيهم [٢١]. فنادوا بأن تكون الخلافة لخالد بن يزيد. وقد مالت قبائل كندة والسكون في مقاطعة الأردن إلى ابن الزبير أول الأمر، ثم اكتشفوا أن الأمويين هم وحدهم القادرون على ضمان وحدة بلاد الشام، ثم الحفاظ على امتيازاتهم القائمة فيها، فمالوا بولائهم إليهم [٢٢].

أما دمشق فترددت بين إعلان ولائها لابن الزبير وحفاظها على عهد الأمويين. فقد كانت دمشق عاصمة الدولة، ومن ثم موطنًا لعدد من قادة البيت الأموي وأنصارهم، كما كانت أيضًا لهذا السبب نفسه مركزًا رئيسًا للقيسيين الفاتحين المسيطرين عليها وعلى أجهزة الدولة الإدارية والمالية. وكان يشرف على شئون دمشق منذ تنازل معاوية الثاني عن الخلافة الضحاك بن قيس الفهري، فتنازعته ميول القيسية وخدماته للأمويين، فترددت دمشق تبعًا لهذا في تقرير موقفها الذي تتخذه من هذه المشكلة [٢٣].

وهكذا نرى أن تنازل معاوية الثاني عن الخلافة أصاب الأمويين بنكسة شديدة، إذ اصطبغت الدولة كلها بالصبغة الزبيرية، ولم يبقَ للأمويين معقل إلا في الأردن، ولا أنصار إلا في قبيلة كلب [٢٤].

ثم حدث تطور جديد، ذلك هو تحالف مروان بن الحكم شيخ بن أمية، الذي كان قد عزم على البيعة لابن الزبير، وبين عبيد الله بن زياد الذي فشل في أخذ البيعة لنفسه من أهل العراق وطرد منها. فحدث عبيد الله بن زياد مروان بان الحكم وحرضه على المطالبة

بالخلافة بقوله: "استحييت لك مما تريد، أنت كبير قريش وسيدها، وتصنع ما تصنعه!!"، فقبل مروان قائلاً: "ما فات شيء" (٢٥). وأيدت غالبية الأمويين عندئذ مروان بن الحكم، والتفت حوله قبائل السكون على وعد أن يمنحها أراضي أكبر في البلقاء في الأردن، فنودي به أميرًا للمؤمنين(٢٦).

مؤتمر الجابية وموقعة مرج راهط:

وفي الجابية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م، عقد الكلبيون وحلفاؤهم مؤتمرهم، وتشاور في أمر البيعة والخلافة، وانتهى الأمر بعدم مبايعة ابن الزبير، وأن تكون الخلافة لمروان بن الحكم، على أن تكون ولاية العهد من بعد مروان لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص (٢٧). وبذلك حل مؤتمر الجابية مشكلة الخلافة بين بني أمية. وترتب على ذلك انتقال الخلافة من البيت السفياني إلى البيت المرواني.

ولكن لم يكن تثبيت هذا الأمر سهلاً، فما زالت تعترضه صعوبات كبيرة، فالضحاك بن قيس زعيم القيسية المناصر لابن الزبير، قد ذهب إلى مرج راهط وانضم اليه النعمان بن بشير والي حمص، وزفر بن الحارث أمير قنسرين، وكان واضحًا أنهم يستعدون لمواجهة الأمويين، فكان على مروان بن الحكم أن يثبت أنه أهل للمسئولية، وحمل أعباء الخلافة، والدفاع عنها، وقد حقق أنصار مروان أول نجاح لهم بالاستيلاء على دمشق، وطرد عامل الضحاك منها (٢٨).

ولم يضيع مروان بن الحكم وقتًا، فقد عبأ أنصاره من قبائل اليمن في الشام، كلب وغسان والسكاسك والسكون، واتجه بهم إلى مرج راهط، فدارت المعركة التي حسمت الموقف في الشام لبني أمية ومروان بن الحكم، حيث هُزم القيسيون أنصار ابن الزبير، وقُتل الضحاك بن قيس (٢٩).

كانت هذه الموقعة نقطة تحول في تاريخ الخلافة والدولة الاموية، عادت الشام بها قوة متماسكة تحت راية الأمويين، وتقدم بنو مروان عندئذ الصفوف، واحتفظوا بالخلافة في فرعهم دون سائر بني أمية، حتى سقطت خلافتهم على أيدي العباسيين سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م.

وقبل وفاة مروان بن الحكم نجح في إعادة مصر إلى الحكم الأموي (٣٠). ثم بدأ مروان بالتخطيط لاستبعاد خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بن العاص من ولاية العهد، الذي قرر في مؤتمر الجابية، فتزوج مروان بن الحكم من أم خالد ابن يزيد أخت حسان

بن مالك بن بحدل الكلبي، لكي يستعين بأخيها، بعد أن أخبره بما يردده عمرو بن سعيد بأنه هو ولي العهد. فقال حسان بن بحدل: "أنا أكفيك عمرًا". ولهذا جمع الناس وخطبهم، فبايع الجميع لعبد الملك ثم لعبد العزيز أبناء مروان بن الحكم، ولم يتخلف أحد [٣١].

وبذلك نقض مروان بن الحكم مقررات مؤتمر الجابية المتعلقة بولاية العهد، وحصر الخلافة في أبنائه، واستطاع بدهائه الخروج من أزمة الحكم الأموي، بأن يكون في مركز الصدارة والقيادة وتجريد السفيانيين من الخلافة، وتحويلها إلى المروانيين، وبعدها توفي مروان بن الحكم بدمشق سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م [٣٢].

جند الشام والتصدي للمواجهات الثورية للبيت المرواني:

وضع عبد الملك سياسة جديدة للحكم للبيت المرواني، وهي أن يحتفظ أمير المؤمنين من البيت المرواني بالسلطة المطلقة للحكم في الدولة الأموية، ولكن كان عليه لتنفيذ هذه السياسة هو أن يشارك عائلته سلطاته هذه، لذلك لأن ولاء جيش جند الشام ينصرف إلى البيت المرواني كمجموعة أكثر مما ينصرف إلى أي فرد معين من أفراد البيت المرواني.

لذلك كان الأهم في تنفيذ سياسة عبد الملك الجديدة في الحكم هو التركيب الفعلي للقوي، المؤثرة بالنظام، أو ما يمكن تسميتها أعمدة النظام أو أركانه، وكانت تتكون من جند الشام والمقاتلة والولاة وبني أمية.

وقد دفعت الظروف التي جاءت بالبيت المرواني إلى الحكم أن يكون جند الشام أهم هذه الأركان وأقواها وقد تحول جند الشام بالتدريج من قوة عسكرية محلية صغيرة تقتصر مهمتها على حدود بلاد الشام إلى جيش نظامي قوي يحمي ويضبط أركان الدولة الأموية كلها. لذلك لم يكن أمام عبدالملك بن مروان من خيار إلا أن يجزل لجند الشام العطاء ويعممه عليهم فيشمل كل فرد من أفراد هذا الجيش مقابل خدماتهم التي لا تعوض. وهكذا أصبح جند الشام هم عمود الجيش النظامي الذي يقف على أهبة الاستعداد لمواجهة كل أمر طارئ يضر بالبيت المرواني، ويعني هذا أن يكون جيشًا متفرغًا لخدمة البيت المرواني.

جند الشام والقضاء على معارضي عبد الملك بن مروان في بلاد الشام:

لما آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م بعد وفاة أبيه[٣٣]، وجه جهوده إلى القضاء على أعدائه في الشام والعراق والحجاز. وفيما يتعلق ببلاد

الشام، فقد خرج عبد الملك بحملة عسكرية في صيف ٦٩- ٧٠هـ/ ٦٨٨- ٦٨٩م إلى الجزيرة الفراتية للقضاء على المعارضة القيسية فيها، فهي العقبة الكئود على طريقه إلى العراق؛ لأنها ذات حصون وقلاع، ويحكمها زفر ابن الحارث الموالي لابن الزبير [٣٤]. وما إن خرجت الحملة من دمشق حتى بلغ عبد الملك نبأ الثورة التي اشتعلت في دمشق بقيادة عمرو بن سعيد، الذي كان ينقم على الأسرة المروانية، منذ أن نقض مروان بن الحكم بنود مؤتمر الجابية، وجعل مروان ولاية العهد من بعده لولديه عبد الملك وعبد العزيز، واضطر عبد الملك أن يعود بحملته ويحاصر مدينة دمشق، ويلجأ إلى مفاوضة عمرو بن سعيد، ووقع معه صلحًا، وكتبا بينهما كتابًا بالعهود المواثيق والأيمان على أن لعمرو بن سعيد الخلافة بعد عبد الملك" [٣٥].

أدرك عبد الملك بعد هذه المؤامرة أنه لا يستطيع الخروج لأي حرب طالما الأخطار تهدده في عاصمته، فدبر مكيدة تخلص بها من عمرو بن سعيد، وقال له عند قتله: "لو أعلم أن تبقى وتصلح قرابتي لفديتك بدم النواظر، ولكنه قل ما اجتمع فحلان في إبل، إلا أخرج أحدهما صاحبه ثم قتله" [٣٦].

خرج عبد الملك بن مروان مجددًا عام ٧١هـ/ ٦٩٠م، باتجاه الجزيرة على راس جيش جند الشام، وحمل معه أدوات الحصار والمجانيق، ونزل بقرقيسيا، ولم يكن جيش جند الشام يتكون من اليمنية فقط، بل ضم اليه بعض القيسية، وعندما حاصر عبد الملك مدينة قرقيسيا التي يتحصن بها زفر بن الحارث، خشي اليمنية من انهزام قيس أمام إخوانهم القيسية الخارجين على عبد الملك، لذلك طلبت اليمينة من عبد الملك ألا يشترك معهم قيس أثناء اقتحام المدينة، فكان لهم ذلك [٣٧]. فجرى بينه وبين زفر بن الحارث قتال شديد، لم يسفر عن نتيجة حاسمة، فلجأ عبد الملك للمفاوضة التي أسفرت عن صلح بين الطرفين، على أن يحتفظ زفر بن الحارث بطاعته لابن الزبير حتى وفاته، بينما انضم رجاله من القيسية إلى جند الشام وعبد الملك بن مروان [٣٨]. وبذلك أصبح جند الشام مستعدًا لمواجهة أي خطر يهدد البيت المرواني.

جند الشام والقضاء على نفوذ ابن الزبير في العراق:

عندما استلم عبد الملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م كان سلطانه يمتد في بلاد الشام ومصر[٣٩]. أما ابن الزبير، فكان سلطانه يمتد على مساحة واسعة، وتشتمل الحجاز والعراق واليمن وخراسان[٤٠]. ولكن لم تكن له براعة عبد الملك بن مروان في قيادة الجيوش وخوض الحروب والتخطيط لها[٤١].

رأى عبد الملك في صراعه مع ابن الزبير أن يبدأ باسترداد العراق؛ لما له من أهمية كبيرة من الناحيتين البشرية والاقتصادية، وكان عبد الملك حينما يتحدث عن العراق يقول: "إن الشام بلد قليل المال ولا أمن نفاذه"[٤٢]. وباسترداد العراق يقضي عبد الملك على مصعب بن الزبير نائب ابن الزبير على العراق، وفي ذلك خسارة كبيرة لابن الزبير، وإضعاف لقوته، مما يساعد ويمهد لحربه بالحجاز أو حصاره هناك حتى يستسلم.

خرج عبد الملك بجند الشام ووصل إلى مسكن قرب معسكر مصعب بن الزبير، الذي كان يحارب الخوارج في البصرة [٤٣]. وبذلك أصبح وضع مصعب العسكري لا يشجع كثيرًا على القتال. فالتقى الجيشان عند مسكن وبدأ عبد الملك يكاتب أمراء العراق ويغريهم بالمال والإمارة ليفتنهم ويبعدهم عن جيش مصعب ويدعوهم للانضمام اليه، وكان كل من الأمراء يخفي أمره عن مصعب إلا إبراهيم بن الأشتر، لما جاءه كتاب عبدالملك اطلع مصعب عليه [٤٤]. بل أطمع عبد الملك مصعب بن الزبير نفسه، فعرض عليه أن يدع دعاءه لأخيه، وأنفذ إليه أخاه محمد بن مروان "فعرض عليه الأمان وولاية العراق أبدًا ما دام حيًا ومليوني درهم صلة" [٤٥]. فأبى مصعب والتحم جيش جند الشام بجيش مصعب، فلم يبق معه إلا قليل فقاتل حتى قُتل بمعركة دير الجاثليق سنة ٧١هـ/٦٩٠م[٤٦]. ويعلق فلهاوزن على شجاعة جند الشام في هذه المعركة، فيقول: "إن جند الشام ثبتوا ثبات المستميتين أمام جند العراق، فقد تركوا القتال بعد أن كان قد استمر مائة يوم، وأخلوا الميدان دون سبب كافٍ، ولم يثبتوا على حماسهم ثبات جند الشام على نظامهم" [٤٧]. وبعد المعركة دعا عبد الملك جند العراق إلى بيعته فبايعوه [٤٨]. وولى عليهم أخاه بشر بن مروان.

جند الشام والقضاء على نفوذ ابن الزبير بالحجاز:

لما تولى عبد الملك بن مروان الحكم، أرسل عدة حملات إلى الحجاز، ولم يكن الهدف من هذه الحملات السيطرة على الحجاز، وإنما لتشغل ابن الزبير حتى لا يبادر فيمد ولاته بالعراق بالنجدات. ومن هذه الحملات حملة طارق بن عمرو، وأمر أن ينزل بأيلة على حدود الحجاز، ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار في المنطقة [٤٩]. وتشير كثرة الحملات العسكرية إلى بلاد الحجاز إلى الاضطراب الذي كانت تعاني منه بلاد الحجاز، وضعف سلطة عبد الله بن الزبير خارج مكة، فلما تم لعبد الملك قتل مصعب بالعراق هان عليه أمر الحجاز وبدأ يفكر بالاستيلاء عليه.

لم يخرج عبد الملك بنفسه لقتال عبد الله بن الزبير، كما فعل بالعراق، إنما بعث الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش كثيف من جند الشام، وكتب معه أمانًا لابن الزبير، ومن معه إن أطاعوا [٥٠].

سار الحجاج بن يوسف في جمادى الأولى من سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م يريد مكة، فنزل بالطائف، وكان يرسل الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير أيضًا جنده فيقتتلون بعرفة بعيدين عن المسجد الحرام الذي يحرم القتل فيه، فتنهزم خيل ابن الزبير في كل مرة، وتعود خيل الحجاج بالظفر. ثم كتب الحجاج لعبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير، ويصف له ضعفه وتفرق أصحابه ويستمده، فأذن له. فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو الذي كان يرابط شمالي الحجاز يأمره أن يلحق بالحجاج، فقدم المدينة ومعه خمسة آلاف من جند الشام، وأخرج منها عامل ابن الزبير، ثم لحق بالحجاج في مكة [٥١].

طوق الحجاج بجند الشام مكة، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس، ورمى به الكعبة، وكان أول ما رمى بالمنجنيق إلى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت، فأعظم ذلك على جند الشام، وأمسكوا عن الرمي، فأخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده، فوضعها فيه ورمى بها معهم تشجيعًا لهم، وكانت الحجاة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي، فلا ينصرف، وكان جند الشام يقولون:

يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا إليك

لتجزين بالذي آتيكا [٥٢].

طال حصار الحجاج على ابن الزبير، واشتدت الأزمة الاقتصادية على أهل مكة، فتفرق الناس عن ابن الزبير، وخرج نحو عشرة آلاف إلى الحجاج يطالبون الأمان، فخطب الحجاج بالناس، وقال: "قد ترون قلة من مع ابن الزبير، وما هم عليه من الجهد والضيق" (٥٣). فأرسل الحجاج إلى ابن الزبير يخيره بين ثلاث: "إما أن يذهب في الأرض حيث شاء، أو يبعثه إلى الشام مقيدًا بالحديد، أو يقاتل حتى يقتل"(٥٤). فرفض ابن الزبير.

ولما تفرق عن ابن الزبير أصحابه، دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر، ودار بينهما حوار له من الأهمية، فهو حوار بين خليفة تجاوز السبعين، وهو مقبل على الموت، وأمه التي قاربت المئة، وقد فقدت بصرها، وليس لها إلا ولدها يرعاها، كان هذا اللقاء والحوار قبل موته بعشرة أيام (٥٥).

كان من نتيجة هذا الحوار حماس ابن الزبير، الذي ما لبث أن قويت عزيمته على مواصلة القتال، فحمل على جند الشام حملة منكرة، فقتل منهم، ثم انكشف هو وأصحابه، وقال له بعض أصحابه: "لو لحقت بموضع كذا ... قال: بئس الشيخ أنا إذًا في الإسلام، لئن أوقعت يومًا، فقتلوا، ثم فررت عن مثل مصارعهم"(٥٦).

دنا جند الشام حتى امتلأت بهم الأبواب في المسجد الحرام، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني تميم، وكان الحجاج وطارق بن عمرو من ناحية الأبطح إلى المروة: وبذلك ضيق جند الشام الحصار على ابن الزبير، وكان يصيحون به: "يا ابن ذات النطاقين" فيقول: "وتلك شكاة ظاهر عنك عارها" (٥٧). ثم تكاثروا عليه، فظل يقاتلهم حتى قتل في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م (٥٨). وأخذ الحجاج البيعة من أهل مكة لعبد الملك بن مروان، وأسندت إليه ولاية الحجاز بالإضافة إلى اليمن واليمامة (٥٩).

جند الشام وتدعيم حكم عبد الملك بن مروان في الأمصار الإسلامية:

في الشمال الإفريقي: شرع المسلمون في فتح الشمال الإفريقي منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، إلى أن تمكنوا في عهد عثمان بن عفان من فتح إفريقية، وخرجوا عنها بمعاهدة صلح. بعد ذلك شغل المسلمون العرب بفتنة الأمصار، وفي عصر الدولة الأموية

ومع البيت السفياني فتحت إفريقية مرة ثانية وبنيت مدينة القيروان سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م على يد عقبة بن نافع [٦٠].

ولما توفي يزيد بن معاوية، وشغل المسلمون بالفتنة الثانية تناسى الأمويون أمر المغرب، لكن عبد الملك بن مروان مع مشاكله مع ابن الزبير، إلا أنه ولي سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م زهير بن قيس البلوي على المغرب، وأمده بجيش كبير من جند الشام، سار به زهير إلى القيروان، وقاتل البربر فهزمهم، ولكن الروم والفرنجة عادوا بنجدات كثيرة، وقاتلوا العرب فاستشهد زهير وكثير ممن كانوا معه سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م [٦١].

بعد أن انتهى عبد الملك من مشكلة ابن الزبير سنة ٧٣هـ/١٩٢م، وجه إلى المغرب اهتمامًا كبيرًا، فولي عليه حسان بن النعمان الغساني، وأمده بأربعين ألفًا من جند الشام، وتدفق جند الشام على الشمال الإفريقي، وقضوا على الروم والفرنجة، وأخضعوا البربر، ودفعوا الجبهة العربية إلى الأمام حتى مدينة طنجة، وكان من أثر هذا النجاح أن دخل أغلب البربر الإسلام، وجندوا اثني عشر ألفًا منهم في الجيش، وأصبح البربر جزءًا من الجيش الإسلامي في الشمال الإفريقي[٦٢].

العراق: بعد أن بايع أهل العراق عبد الملك بن مروان، عهد بولاية العراق إلى أخيه بشر بن مروان [٦٣]. ويبدو أن بشر بن مروان لم يكن واليًا حازمًا، ولهذا ظلت الأحوال في العراق على عهد بشر غير مرضية أبدًا، وكانت المشكلة الرئيسية في العراق، هو فتور أهل الكوفة عن تأييد البيت المرواني، ولذلك امتنعوا عن نصرهم في محاربة الخوارج. لذلك اتخذ بشر بن مروان عقوبات شديدة اتجاههم، إذ كان المخالف يُصلب إلى حائط ويعذب عذابًا شديدًا لما دون الموت [٦٤]. ورغم ذلك فإن هذه العقوبات لم تنفع في حل مشكلات العراق، وظلت كذلك حتى وفاة بشر بن مروان.

بعد وفاة بشر بن مروان عين عبد الملك الحجاج بن يوسف واليًا على العراق. وقد قضى الحجاج سنينه الثلاث الأولى في قمع الثورات والانتفاضات. وكان هدف الحجاج الأول دفع القبائل إلى التحاق في حملات ضد الخوارج في المشرق، والتي قضى عليها المهلب بن أبي صفرة [٦٥].

ولكن أخطر ثورات الخوارج هي التي جاءت للحجاج من منطقة الموصل، وكان هؤلاء يعرفون بالصفرية [٦٦]. وعلى رأسهم صالح بن مسرح التميمي، فدعا أصحابه إلى الخروج وإنكار الظلم وجهاد المخالفين لهم، فسارعوا إلى إجابة دعوته، وانضم إليه

شبيب بن يزيد الشيباني، وكان أبوه أحد القراء، وقد تولى قيادة الصفرية بعد موت صالح بن مسرح [٦٧].

واستطاع شبيب بن يزيد أن يهدد الكوفة وأن يدحر قوة من أهل العراق، وقد تمكن من دخول الكوفة مرتين والحجاج فيها. وزاد خطر شبيب عندما بدأ محادثات مع وجوه أهل الكوفة مثل ابن الأشعث ومطرف بن المغيرة، وهو قريب الحجاج وعامله على المدائن [٦٨]. وبهذا أصبح الوضع حرجًا أمام عبد الملك والحجاج، فكتب الحجاج إلى عبد الملك: "يا أمير المؤمنين الغوث الغوث، فإن شبيب بن يزيد هتك الحريم، وأيتم الأولاد، وأرمل الأزواج" [٦٩]. فاضطر عبد الملك أن يرسل ستة آلاف من جند الشام إلى العراق بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي، الذي قضى على ثورة شبيب بن يزيد، ووضع جند الشام حدًا لثورته، إثر قتله بعد أن غرق في النهر سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م، وبوفاته ضعف شأن الصفرية[٧٠].

ثورة مطرف بن المغيرة بن شعبة: ولكن لم تلبث أن نشبت في الحال ثورة أخرى، وكانت هذه الثورة أكثر الثورات غرابة، إذ كانت بقيادة مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي- عامل الحجاج على المدائن- وكان دقيقًا وواضحًا في أهداف ثورته، وهي معارضة سياسة الحجاج وعبد الملك في استخدام جيش جند الشام في العراق، وفي الاتجاه المتزايد نحو توسيع صلاحيات أمير المؤمنين، فهو يريد عودة نظام المدينة تحت زعامة قرشية مع منح المقاطعات مزيدًا من الاستقلال الذاتي [٧١].

وكان وجه الخطر في هذه الثورة هو في محاولة مطرف إثارة الجند العراقي ضد الحجاج. وكاد أن ينجح في مسعاه بدليل مسارعة الحجاج إلى استدعاء جند الشام، وقمع ثورته، وقد أسرع جند الشام مرة ثانية إلى العراق، وسحقوا الثورة بما عرف عنهم من قوة وكفاءة، ثم عادوا إلى الكوفة، ونزلوا جبرًا في بيوت سكانها [٧٢]. وكان جيش الشام جيشًا محنكًا؛ إذ به تم أخيرًا للحجاج السيطرة على الوضع في العراق، وقد كافأ عبد الملك على نجاحه، فأضاف اليه ولاية المشرق إلى ولاية العراق [٧٣].

ثورة ابن الأشعث: بعد انتهاء فتنة ابن الزبير والقضاء على الخوارج، أصبح أمام الحجاج مشكلة في العراق، وهي إعداد العرب الكبيرة في الكوفة، الذين أظهروا بأسًا

وقدرةً عسكريةً يفوق كثيرًا ما كان يرغب في رؤيته منهم؛ لذلك لجأ إلى تقليد قديم، وقرر التخلص منهم بتفريقهم في الأرض.

جهز الحجاج بن يوسف عام ٧٨هـ/٦٩٧م جيشًا من أهل الكوفة والبصرة بقيادة عبيد الله بن أبي بكرة، وأرسله إلى سجستان ضد رتبيل ملك زابولستان بسبب منعه الجزية، ولأن أبناء القبائل من أهل الكوفة لم يعتادوا على الحرب في المناطق الجبلية الوعرة، فقد كانت النتيجة كارثة شاملة؛ إذ أبيد الجيش بكامله إبادة تامة، ومات قائده همًا وكمدًا (٧٤).

لكن هذه التجربة لم تكن لتوقف الحجاج عند حده، بل على العكس من ذلك، فإنها قد أوحت له بأن يعيد خطة التهجير العام التي جربها زياد بن أبيه من قبل، وإذ قرر أن يصيب عصفورين بحجر واحد، فقد شجع كل العناصر القلقة والباعثة للاضطراب على الالتحاق بهذه الحملة، وقد خطط أن يكون عدد الحملة أربعين ألف شخص، وأن يخفي بدقة وعناية حقيقتها، وهي أنها ليست مجرد حملة عسكرية، وإنما هي هجرة إجبارية عامة. ولم يدخر وسعًا، ولا نفقًا في إخراج وتجهيز هذا الجيش بالخيول والسلاح الكامل، وسماه الناس جيش الطواويس، لا بسبب مظهره البراق فحسب، بل لأنه كان يضم بين دفتيه أبرز قواد العرب، وأكثر إدلالاً بأحسابهم وأنسابهم، وكان على رأسهم عبد الرحمن بن الأشعث، وضم اليه كثيرًا من القراء الذين كانوا في صفين (٧٥).

خرج الجيش إلى سجستان عام ٧٩هـ/٦٩٩م، ومنها تقدم إلى زابولستان، ورغم ما أحرزه من انتصارات، فلم يكن من السهل عليه الاستمرار في الحرب في هذه البيئة الجبلية الوعرة، وبدأ الجيش يكل ويتململ، وهنا كشف الحجاج عن نواياه وأحس الجيش بالخديعة بأنه فرض عليه الهجرة، ولذلك تمرد الجيش، وعاد إلى العراق، وانضم إليهم أهل الكوفة الغاصبون على جند الشام الذين كان من المفترض أن يتخذوا من الكوفة قاعدة ثابتة لهم، وأعلنت الثورة (٧٦).

استولى جيش الطواويس على بيت المال، وقد حاول أهل الكوفة أن يفصلوا بين ثورتهم وثورة جيش الطواويس، ولكنهم في النهاية اضطروا إلى العمل معًا، وانضم إليهم أهل البصرة الذين كرهوا الحجاج وأخرجوه من قطرهم. الذي اضطر أن يرسل النداءات إلى عبد الملك، ويطلب المدد بعد أن فقد مركزه أمام الثوار (٧٧).

أرسل عبد الملك إلى العراق كل جندي شامي يمكن أن ينضم إلى الجيش، ولم ينتظر أن ينضموا في كتائب، بل كان يرسلهم بالمائة وبالخمسين على البريد[٧٨]. وفي النهاية استطاع أن يرسل كتيبتين كبريين من جند الشام بقيادة ولده عبد الله وأخيه محمد بن مروان، وقد دحر جند الشام جيش العراق عام ٨٢هـ/ ٧٠١م[٧٩]. وفر عبد الرحمن بن الأشعث قائد الثورة إلى سجستان حيث مات هناك سنة ٨٥هـ/٧٠٤م [٨٠].

لم يكن أمام الحجاج وعبد الملك بعد هذه الثورة من خيار، سوى فرض جيش من جند الشام بشكل دائم على أهل العراق، ولأن الكوفة والبصرة فقدتا صفتهما العسكرية، فقد بنيت حامية جديدة وهي "واسط" [٨١]، لتضم جند الشام الذين أصبحوا مقيمين إقامة دائمة في العراق، وانضم إليهم بعض قبائل العراق الذين فضلوا الانضمام لهذا الجيش، وحيث أراد الحجاج عزل جند الشام عن أهل الكوفة والبصرة؛ حتى لا يتسرب إليهم التمرد والعصيان الذي اتصف به أهل العراق [٨٢].

إلا أن هذه الفعاليات قد أدت إلى ترك آثار عميقة على جند الشام بسبب تغير نمط حياتهم، ولم يكن أمام عبد الملك من خيار إلا أن يجزل لهم العطاء ويعممه على كل أفراد هذا الجيش مقابل خدماتهم التي لا تعوض [٨٣]. وهكذا أصبح جند الشام النظامي الذي يقف على أهبة الاستعداد لمواجهة كل أمر طارئ، وإن لم يعنِ ذلك أن يكون جيشًا متفرغًا للبيت المرواني.

خلف الوليد أباه عبد الملك في الحكم (٨٦- ٩٦هـ/٧٠٥- ٧١٥م)، وظل الحجاج رجل بني مروان الأول، بل ازداد كما هو المتوقع نفوذًا وأهمية. وكل ما ميز عهد الوليد عن عهد أبيه هو الاستقرار الشامل الذي شهدته سنوات حكمه، والذي شمل كل أمصار الدولة الأموية، مما هيأ للوليد الوقت للانصارف إلى تحقيق المزيد من الفتوحات الجديدة سواء في المشرق أو في المغرب [٨٤].

جند الشام وعهدا سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز:

تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة سنة ٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٥- ٧١٧م، وكانت باكورة أعماله هي تنحية أنصار الحجاج بن يوسف من الوظائف والولايات، وإحلال يمانيين محلهم أكثر اعتدالاً وأكثر انفتاحًا، فقد تولى ولاية العراق يزيد بن المهلب بن أبي صفرة [٨٥].

تدعيم جند الشام لسياسة يزيد بن المهلب في خراسان:

بالنسبة لسياسة سليمان بن عبد الملك الخارجية، فقد كانت تتسم بالبطء والحذر؛ ففي خراسان كان سليمان أقل سلمًا مما توقعه الثائرون على قتيبة بن مسلم نصير الحجاج، والذي ثار على سليمان وخلع بيعته، مما أدى إلى انقلاب اليمنية عليه وقتله [٨٦]. فلم يرد سليمان لهذه السابقة أن تتقرر وتعمم؛ لذلك عين يزيد بن المهلب على خراسان وأمده بقوة كبيرة من جند الشام المقيم في واسط، ولكن ما أن وصل يزيد وجند الشام إلى خراسان حتى اختلفت سياسته عن سياسة قتيبة بن مسلم، فقد قرر فتح مناطق جرجان وطبرستان الجبلية الوعرة، ولكنه استفاد من السياسة اليمنية في كسب تعاون أهالي البلاد المفتوحة، فقد جند عددًا كبيرًا من المتطوعين غير العرب، واستغنى عن جند الشام [٨٧]. وبهذا أنهى يزيد ابن المهلب دور جند الشام في المنطقة الشرقية.

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة عام (٩٩- ١٠١هـ/ ٧١٧- ٧٢٠م) عمل على إقصاء يزيد بن المهلب عن ولاية العراق وخراسان [٨٨]. ومن ثم قسم هذه المنطقة الكبيرة إلى ثلاث ولايات؛ هي ولاية البصرة، وولاية الكوفة، وولاية خراسان؛ وذلك ليضمن لنفسه سلطة أشد ورقابة أيسر. وزاد على ذلك، فأمر بحبس يزيد بن المهلب على أساس أنه فشل في أن يدفع إلى دمشق حصة كافية من مغانم فتح جرجان [٨٩].

جند الشام ونشاطه على الحدود البيزنطية في عهدي سليمان وعمر:

كانت سياسة سليمان تجاه الحدود البيزنطية واضحة وبسيطة، إلا أنها لا تساعد على تمييز خطه السياسي، فمن أجل أن ينهي سليمان الحروب المستمرة والمنهكة مع البيزنطيين، قرر سليمان أن يضرب الروم في عقر دارهم، وأن يفرض على القسطنطينية حصارًا قويًا دقيق التدبير [٩٠].

وكان القائد العام للقوات المشتركة من الجند الشامي والأسطول المصري في هذه الحملة أخاه مسلمة بن عبد الملك، ولكن العملية الحربية لم تكن ناجحة، فقد ابتدأ هذا الحصار عام ٩٨ه/٧١٦م، وسرعان ما وجد الروم أنفسهم في وضع خطر ودقيق للغاية، لكن لحسن حظهم جلب للعرش البيزنطي عام ٩٩هـ/ ٧١٧م ملكهم ليون الأزوري، ومن المفارقات العجيبة أن يكون ملكهم من منطقة مرعش على الحدود الإسلامية البيزنطية. وكان خادعًا ماكرًا، فخدع قوات مسلمة ابن عبد الملك، ولهذا السبب ولوفاة سليمان بن عبد الملك المفاجئة، اضطر الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز أن يرفع الحصار عن

القسطنطينية، ويأمر بعودة جند الشام منها، كما أمر بانسحاب الجيوش من كل نقاط الجبهات المتقدمة في أراضي الروم [٩١].

سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه جند الشام:

كان عمر بن عبد العزيز على اعتقاد أن ما تحتاجه الدولة لتماسكها وبنائها ليس قوة جند الشام، وإنما عقيدة فكرية تجمع بين أبنائها، وهذا يعني اندماج المسلمين مع بعضهم البعض عربًا كانوا أم غير عرب في مجتمع إسلامي موحد.

وبسبب سيطرة الحكومة المركزية في عصر بني مروان، وجد عمر بن عبد العزيز أنه أكثر فردية وتحكمًا، لذلك وجد أنه لم يعتمد على قوة جند الشام الغاشمة لتنفيذ سياسته، فقد سحب كل الحاميات العسكرية لجند الشام من العراق وخراسان، وحاول أن يفرض الهدوء والاستقرار في كل منطقة على حدة [٩٢].

جند الشام وثورة يزيد بن المهلب في عهد يزيد بن عبد الملك:

تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة (١٠١- ١٠٥هـ/ ٧٢٠- ٧٢٤م)، وكان يزيد بن المهلب في حبس عمر بن عبد العزيز طيلة أيام حكمه، فما أن سمع بوفاة عمر وتولية يزيد بن عبد الملك حتى فتح باب سجنه وخرج منه من تلقاء نفسه، وأشعل الثورة في البصرة على يزيد بن عبد الملك [٩٣]. وكان شعار ثورته "ألا تطأ جنود أهل الشام بلادنا" [٩٤]. وهذا تعبير واضح لمرارة الشعور بالإهانة التي سببها وجود قوات جند الشام في واسط. وقد بلغت الثورة ذروتها بعد أن احتل يزيد بن المهلب البصرة وأسر واليها. لكن يزيد بن عبد الملك أرسل بسرعة جيش جند الشام وعلى رأسه أخوه مسلمة بن عبد الملك، وسرعان ما انهار كل "ما يمنع جند أهل الشام من أن يطأوا أرضنا"، فانهار جيش يزيد بن المهلب، وتشتت جمعه بعد أن سقط يزيد نفسه صريعًا في ميدان القتال. وعاد جند أهل الشام إلى العيش مرة ثانية في واسط[٩٥].

جند الشام وعهد هشام بن عبد الملك:

تولى هشام بن عبد الملك الخلافة (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م) بعد موت أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٤م، وقد واجه هشام مدة حكمه أخطر التهديدات في جميع أنحاء الدولة الأموية، وكان جند الشام هم سلاحه الذي قضى به على هذه التهديدات.

ففي العراق بدأ هشام بطرد عمر بن هبيرة وتعيين خالد بن عبد الله القسري بدلاً منه واليًا على العراق، إلا أن هشام لم يستطع أن يوفر لخالد بن عبد الله العدد الكافي من جند الشام لتشديد قبضته على المشرق، ولكن أمام ضغوط الأوضاع في المشرق عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م اضطر أن يرسل له قوة من جند الشام تساعده على فرض سلطته على إقليم المشرق [٩٦].

جند الشام ومواجهة أخطار أرض الجزيرة:

كانت الأوضاع في بلاد الشام وبلاد الجزيرة في عهد هشام مرتبطة بالأخطار الخارجية المهمة، ففي عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م، انهزم الجيش العربي في هذه الجبهة هزيمة شنعاء من الخزر، ولكنه ما لبث أن عزز بجند الشام "إذ دعا يزيد بن عبد الملك بالجراح بن عبد الله الحكمي، فعقد له عقدًا، وضم إليه جيشًا كثيرًا، وأمره بالمسير إلى بلاد أرمينية"، فاستطاع الصمود ورد هجمات الخزر[٩٧]. فقد كانت هذ الجبهة من مسئولية جيش الجزيرة الصغيرة، في حين كانت جبهة الروم دائمًا من مسئولية جند الشام الأكثر عدةً وعددًا.

وإذ لم تعد الجبهة الرومية الآن نشطة كما كانت من قبل، وخاصة بعد فشل حملة سليمان على القسطنطينية عام ٩٨هـ/ ٧١٧م، فقد أصبحت جبهة الخزر هي الجبهة العربية الأكثر نشاطًا والأعنف قتالاً. ولما رد الخزر على نشاط العرب هذا بعنف وقوة، استثار رد فعل العرب بشكل أقوى وأعنف، وأرسل جند الشام إلى جبهة الخزر.

وفي عهد هشام أرسل إلى جبهة الخزر أعدادًا أكثر من جند الشام تحت راية أخيه مسلمة بن عبد الملك، لكن وضع العرب هناك لم يتحسن كثيرًا سواء كان ذلك بسبب صحة مسلمة التي ساءت، فأعاقته عن القيام بواجبات القيادة على الوجه الأكمل [٩٨]. أم بسبب عدم رغبة جند الشام في القتال على هذه الجبهة، ولذلك أرسل هشام حملة عام ١١٢هـ/ ٧٣٠م بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي، "ثم انتخب له وجوه أهل الشام وأشراف العرب فضمهم اليه"، ولكن انتهى أمر هذه الحملة إلى كارثة فاجعة، وأصبح الخزر يهددون قلب الجزيرة، مما أدى بهشام إلى عزل سعيد بن عمرو الحرشي، وتولية أخيه مسلمة الذي طلب الصلح من أهل حيران، فأبوا فقالتهم فسألوه الأمان [٩٩]. وظل الوضع على هذا الحال طيلة الشتاء والربيع التاليين[١٠٠].

كان هشام في أشد الحاجة إلى جيوش جديدة يبعثها لإيقاف الخزر أو ردهم. وفي عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م عهد بجميع أمور الجزيرة وأرمينيا وآذربيجان إلى ابن عمه مروان بن محمد [١٠١]. الذي كان على معرفة تامة بمشاكل المنطقة، إلى جانب أنه كان جنديًا باسلاً وقائدًا عسكريًا ممتازًا.

أطلق هشام يد مروان بن محمد ليجند ويسجل في الديوان أكثر عدد ممكن من أبناء الجزيرة [١٠٢]. وكانت هذه الحركة تهدف أيضًا إلى حل مشكلة جديدة خاصة بهذه المنطقة، وهي مشكلة تكاثر السكان والهجرة إلى الجزيرة من العراق. ويصادف مروان بن محمد صعوبات كثيرة في جمع جيش له من مناطق الجزيرة، ففي أواخر عام ١١٩هـ/ ٧٣٧م انهزم الخزر الأثرياء، وطردوا من أرمينيا وآذربيجان [١٠٣]. وكان على هشام أن يلتفت إلى الروم الذين استغلوا هجمات الخزر ليزيدوا من ضغطهم على حدودهم مع العرب. وفي عام ١١٣هـ/ ٧٣١م وفي ذروة خطر الخزر، استطاع البيزنطيون أن يوقعوا بالعرب هزيمة كبيرة، وقد انتقم لها هشام بإرسال حملتين صيفيتين من جند الشام إلى أرض الروم بدلاً من حملة واحدة [١٠٤].

وقام بالحملة الأولى الجيش الشامي بقيادة اثنين من أبناء هشام هما: معاوية ومحمد، وكان عليهما أن يتقدما على طول ساحل البحر المتوسط [١٠٥]. وكان على الحملة الثانية أن تتقدم من الجزيرة نحو الشمال الغربي إلى الأقسام الشرقية من أرض الروم، وكانت بقيادة سليمان بن هشام [١٠٦]. وكانت هذه في الواقع أهم الحملتين بالنظر إلى تكوين جيشها.

وقد بعث كل من تيسر من العرب في الجزيرة لمواجهة خطر الخزر، ومع هذا فقد أمكن جمع هذا الجيش في الرقة التي كانت تحت إدارة سليمان بن هشام، ولإثارة الحماس في نفوس أفراد هذا الجيش، فقد تقدم هشام بنفسه وجاء إلى الرقة متقلدًا سيفه [١٠٧]. ووصل عدد هذا الجيش إلى حوالي خمسة آلاف، وظل هذا الجيش تحت قيادة سليمان، وأخلص له خلال الأحداث التي مرت بها الدولة، وقد عرف باسم "الذكوانية"، أي أتباع ذكوان، وهو مولى لسليمان بن هشام، وكان هؤلاء الأتباع موالي أيضًا [١٠٨].

والاستنتاج الواضح هو أن هشامًا في جهده المستميت لجمع الجنود لمواجهة تهديد الروم والخزر، قد سمح بتجنيد من اعتنق الإسلام من سكان بلاد الجزيرة الأصليين؛

ليكون منهم هذا الجيش الخاص، وعلى الأكثر فإنهم لم يكونوا مسجلين في "الديوان"، وإنما كانوا يتقاضون رواتب خاصة من سليمان نفسه، وبالتالي من بيت المال، وكانت العادة قبل عهد عمر بن عبد العزيز أن تدفع مبالغ خاصة للحرس الخاص بأفراد البيت المرواني [١٠٩].

وفي بلاد الشام كان نشاط جيش جند الشام مقصورًا على الصوائف على سواحل البحر المتوسط، وعلى الحاميات التي ترسل بصورة دورية إلى العراق. ولما طلب والي السند على الجبهة الهندية مددًا عام ١١٩هـ/ ٧٣٧م، لم يكن هناك إلا ستمائة جندي شامي أرسلوا إلى هناك على بطء ودون رغبة منهم[١١٠].

جند الشام في الشمال الإفريقي والأندلسي في عهد هشام:

أصبح الشمال الإفريقي والأندلس ميادين رئيسة لنشاط جند الشام منذ عهد عبد الملك بن مروان إلى أن وصل العرب إلى أبعد حدودهم في أوربا عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م، حين دحرهم شارل مارتل في معركة تور بواتييه[١١١].

ثم تلا ذلك حملات قام بها كليةً جند الشام، الذين يعتبرون أنفسهم في حملة طويلة الأمد، وقد حاولوا مرارًا منذ عام ١٠٠هـ/٧١٨م حتى اندحارهم عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م الحصول على موضع قدم لهم عبر جبال البرتاج، ولكن الفشل كان نصيبهم في هذه المحاولات [١١٢].

وبعد هذا التحول في سير الأحداث، فكر هشام بن عبد الملك في إسكان جند الشام في الأندلس. ويدل تعاقب القادة من جند الشام وعمال الولاة من عرب الشام في الأندلس على استمرار وصول جند الشام بصورة دورية إلى هناك[١١٣]، بسبب ثورات البربر إلى أن أمكن احتواء ثورة البربر في الأندلس، حتى انقسم العرب في إسبانيا، وكما هو المعتاد إلى قيسية ويمانية، وقد فضل بعضهم البقاء في الأندلس، وأوجدوا لهم نوعًا من التعايش مع البربر، وهؤلاء هم اليمانية، وكانت القيسية على الجانب التالي تعمل جادة للعودة إلى الشام، فأبوا أن يسهموا في عمليات الاستقرار والتعاون مع البربر [١١٤].

وفي النهاية، وبعد أن قمعت ثورة البربر بصورة مؤقتة اتفق العرب أنفسهم على الاستقرار في الأندلس. وتعكس الطريقة التي توزعوا فيها في البلاد تركيب جند الشام في ذلك الحين، فقد استقر جند مدينة الشام (دمشق) في البيرة، وجند قنسرين في مقاطعة

جيان، وسكن جند حمص في إشبيلية، وجند فلسطين في مدينة شذونة، وأهل الأردن في مدينة رية [١١٥].

وعندما اقترب عهد هشام من نهايته عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م كانت الحالة في الأندلس والشمال الأفريقي، بل وفي جميع أنحاء الدولة الأموية في حالة سلم داخلي.

جند الشام وعهد الوليد بن يزيد:

عندما تولى الخلافة الوليد بن يزيد (١٢٥- ١٢٦هـ/ ٧٤٣- ٧٤٤م)، لم يدرك الآثار الخطيرة الناجمة عن الأعباء الثقيلة والمتزايدة المطلوب تنفيذها من الجند الشامي ذي القدرة المحدودة، كما أنه لم يدرك أن تجنيد جيش جديد من الجزيرة قد أظهر للوجود قاعدة عسكرية بديلة لجند الشام تحمي البيت المرواني. وطبيعي فإن وجهة نظر الوليد أن هذه القدرة الجديدة ستخدم مصالح الدولة الأموية إذا ما استخدمت في حروب توسعية جديدة.

وإذا التفتنا إلى جند الشام الموجودة في الشام، نجد أن أعدادها تناقصت، والوليد يعلم حق العلم أنه لا يستطيع أن يستدعي قسم الجيش الموجود في الشمال الإفريقي لإخماده ثورة البربر هناك، ولذا وبدلاً عن ذلك، فقد التفت الوليد إلى جزيرة قبرص التي طال نسيان أمرها. وكانت هذه الجزيرة قد أخذت من الروم عام ٢٤هـ/٦٤٩م أيام ولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام، وسكنها عرب من أهل الشام منذ ذلك الحين [١١٦]. وأرسل الوليد عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م حملة بحرية إلى هذه الجزيرة تستدعي سكانها المقيمين فيها، وتضطرهم إلى المشاركة في الحملات العسكرية المتوجهة لحروب الروم [١١٧]. أما بقية الجند الموجود في الشام، فقد كسب ولاءهم بزيادة العطاء لهم، وزاد الناس جميعًا في العطاء عشرة عشرة، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشام خاصة"[١١٨].

لكن هذه الترضيات كلها لم تجده نفعًا، فإن أهل الشام قد ضاقوا بهذه السياسة التي تحملهم على الغزو والحرب باستمرار وطيلة أيام العام. وفي أنحاء الدولة كافة، عادوا وثاروا بالوليد نفسه. فقد اتفق بعض قادة هذه الجيش مع بعض أفراد بني مروان، وقاموا بانقلاب عسكري أودى بحكم الوليد وقتله [١١٩]. على يد أخلص بني مروان وهم جند الشام.

وفي الواقع فإن هذا الانقلاب ضد الوليد بن يزيد كان في الحقيقة هو بداية نهاية حكم بني مروان إذ فقدوا بفقدانهم تأييد جند الشام القاعدة الصلبة التي يقوم عليها ملكهم، لذلك فسرعان ما ضعف وانهار.

يزيد بن الوليد وبداية النهاية لجند الشام:

جاء قادة جند الشام بيزيد بن الوليد لخلافة الدولة عام ١٢٦هـ/٧٤٤م، ومن الغريب أن تكون باكورة أعماله إنقاص الناس من أعطياتهم الذي زاده الوليد بن يزيد لجند الشام، مقابل عدم مساءلة جند الشام القيام بأية مهمة أكثر مما يطلب من بقية المقاتلة في أمصار الدولة الأموية (١٢٠).

وفي الواقع فقد وعد يزيد بن الوليد جند الشام بأن يبقوا في بلاد الشام، وأن يحكم الدولة دون الاعتماد على قوتهم في ضبط أمور الدولة، وكان هذا الوعد واحدًا من وعود كثيرة وعدهم بها (١٢١).

جند الشام في العراق في عهد يزيد بن الوليد:

أما عن وضع حامية جند الشام في العراق، فإن يزيد بن الوليد كان قد طرد والي العراق يوسف بن عمر وعين بدلاً منه منصور بن جمهور أحد قادة اليمنية الذين دبروا مؤامرة الانقلاب على الوليد بن يزيد (١٢٢). وكانت مهمته، وهي أبرز ما في عهد يزيد بن الوليد القصير، هي إعادة تنظيم الجيش العراقي، على أن يدفع من بيت المال الأعطيات للمجندين الجدد (١٢٣).

رحب العراقيون بهذه الخطوة، ولكن أسلوب منصور بن جمهور لم يكن مقبولاً لديهم، فإنه كان- على ما يبدو- يفضل بقاء جند الشام في العراق، وإما أنه يسعى لإتمام دمجهم الكامل في الجيش الجديد. وبعد ثلاثة أشهر فقط ولما وضح للعيان أن منصور هو نفسه من جند الشام، فقد فشل في كسب ثقة العراقيين به (١٢٤). لذلك استبدل به واليًا جديدًا، وهو وإن يكن لم يكن من ثوار جند الشام، فقد كان لاسمه صيت مدوٍّ ورنين مقبول، ذلك هو عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز. ويعني اسمه للعراقيين استعادة سياسة أبيه، أي وضع حد لسيطرة جند الشام على العراق. وقد بدأ الوالي الجديد عبد الله بن عمر في بناء الجيش العراقي، والذي اقترح أن يضم إليه ويدمج فيه جند الشام الموجود في العراق، وأن يكون منصور بن مجهور أحد قواد هذا الجيش الجديد (١٢٥).

ولسوء الحظ فقد توفي يزيد بن الوليد فجأة في نهاية عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، بعد حكم لم يدم أكثر من ستة شهور، وخلفه في الحكم أخوه إبراهيم، الذي لم تعترف جميع الفئات بخلافته للدولة، فانتشرت الحزبية بين جند الشام في بلاد الشام نفسها، وتدهور الوضع إلى فوضى كاملة في كل الأقطار [١٢٦].

مروان بن محمد والقضاء على جند الشام:

وفي خلال هذه الفترة، دخل مروان بن محمد إلى دمشق عام ١٢٧هـ/ ٧٤٤م، وأعلن نفسه أميرًا للمؤمنين، وقد قامت في وجهه معارضة ضعيفة من جند حمص وجند فلسطين، ولكنه سرعان ما تغلب عليها[١٢٧].

اضطر مروان بن محمد إلى الاستغناء عن جند الشام، وأصبح اعتماده الكلي على جيش أهل الجزيرة الذي كان من صنع يديه. وكان أهل الجزيرة هؤلاء من صميم قبيلة قيس، وقد أعاد مروان جمعهم وتنظيمهم، فكانوا على أتم الاستعداد لأن يؤدوا للبيت المرواني نفس الدور الذي أداه له جيش جند الشام في حامية البيت المرواني. وبذلك انتهى دور جند الشام في حامية وتدعيم البيت المرواني. أما القوة الجديدة المتمثلة في جيش الجزيرة فإنها رغم قوتها إلا أنها كانت غير قادرة على إعادة فرض سيطرة البيت المرواني على الدولة وزوال حكمه، وتهيئة الأمر لأسرة بني العباس لتتولى حكم الدولة الإسلامية [١٢٨].

وقد شهدت سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م انهيار بقايا القوى المروانية، بعد وصول جيش الثورة العباسي إلى الكوفة، زحف مروان بن محمد بجيش الجزيرة لأداء مهمته. إلا أنه اندحر أمام جيش العباسيين اندحارًا تامًا في معركة الزاب، وفر مروان بن محمد إلى الشام، إلا أنه لم يجد تأييدًا من أهل الشام، فهرب إلى مصر، فألقي القبض عليه [١٢٩]، وقتل. فأزيلت بموته المروانية إلى الأبد.

التنظيم العسكري لجند الشام

أ- التكوين القبلي لجند الشام:

كانت بلاد الشام جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية؛ لذلك كان تكوين جيش جند الشام مختلفًا عن تكوينات الجيش العربي الإسلامي. فقد كانت في بلاد الشام كثير من القبائل العربية، وأغلبها من اليمن التي استقرت فيها قبل الفتح الإسلامي، مثل: قبائل غسان

ولخم وتنوخ وبهراء وتغلب والنمر وإياد [١٣٠]. وإن الاستقرار السابق للقبائل اليمنية في بعض أجزاء بلاد الشام، كان قد أعطى المشتركين في حروب الفتح اهتمامًا خاصًا بالمنطقة، وكانوا يفضلون الذهاب إلى بلاد الشام؛ لأنها أرض أسلافهم[١٣١].

وكان جيش الفتح مكونًا من سبعة آلاف نفر من أهل المكة والمدينة والطائف وما يجاورها من بطون قيس في الحجاز، مثل عبس وسليم [١٣٢]. وكان معهم قبائل شمال غربي بلاد العرب ذات الأصل اليماني القديم، مثل بلى، أما غالبية الجيش ومجموعها عشرون ألف نفر فكان من قبائل اليمن [١٣٣].

وكان هؤلاء أبطال أجنادين، وفاتحي فلسطين، وقد استطاعوا خلال ثلاث سنوات أن يتوغلوا في أعماق البلاد الشامية، حتى التقوا أخيرًا مع الروم في معركة اليرموك عام ١٦هـ/٦٣٧م، وانتصروا عليهم [١٣٤].

وكانت هذه المعركة نقطة التحول في الفتوح العربية، وفي استيطان العرب في بلاد الشام، ذلك أن الروم قرروا الجلاء التام عن كل بلاد الشام، وقد اصطحبوا معهم في انسحابهم أعدادًا كبيرة من سكان البلاد. وكان بعض هؤلاء من عرب أهل الشام [١٣٥]. أما الغالبية من السكان العرب، والذين قرروا البقاء في بلادهم، فقد آثروا اعتناق الإسلام، وبالتالي الانضمام إلى جيش العرب، وكان أبرزهم بطون بني كلب [١٣٦]. وأيضًا قبيلة السكون، والتي تكون منها وحدة عسكرية متميزة في جيش جند الشام. وكانت الخطة الأساسية لاستيطان العرب في الشام هي بناء مدينة حامية في "الجابية" في مرتفعات الجولان، يسيطرون منها على الأقاليم الشامية كلها [١٣٧].

وقد قسمت القوات في بلاد الشام بعد فتحها واستقرار العرب فيها إلى خمسة أقسام؛ سميت بالأجناد؛ لأن كل واحدة منها تضم جندًا يقبضون عطاءهم من خراجها، وهذه الأجناد هي: جند دمشق وجند حمص، وجند الأردن، وجند فلسطين، ثم جند قنسرين، التي استحدثها يزيد بن معاوية بعد أن كانت تابعة إلى حمص [١٣٨].

إن طريقة توزيع هذه الأجناد حسب مناطقها له أهمية كبيرة في بيان أصول وعناصر جند الشام، فقد كان هناك اثنان في جنوب بلاد الشام، وهما جند فلسطين، وجند الأردن، واثنان في وسطها وهما جند حمص وجند دمشق، وواحدًا في الشمال وهو جند قنسرين. وربط الأمويون بينهم وبين جند الوسط وقبائلهما وقبائل دمشق وحمص، بأوثق الروابط، فكانت تلك القبائل أشد ما تكون ولاءً للأمويين وخاصة بني مروان [١٣٩]. لذلك فإن

الغالبية العظمى من عناصر جند الشام في بداية العصر الأموي كانت من قبائل اليمن، التي كانت تضم قبائل كلب وحمير ولخم وكندة والأزد وهمذان وخثعم [١٤٠]. حتى إذا تولى عبد الملك بن مروان الخلافة، أصبحت هذه القوات تضم إلى جانب أهل اليمن قبائل من قيس بعد الصلح الذي عقد بين عبد الملك وزفر بن الحارث زعيم قيس في أرض الجزيرة[١٤١].

ب- المصاهرة وتكوين جند الشام:

قامت العلاقة بين الخلفاء الأمويين وبين القبائل العربية في بلاد الشام من يمنية وقيسية في المقام الأول على عنصر المصاهرة التي تربط الخليفة الأموي باليمنية والقيسية. والمصاهرة في عرف العرب هي تحالف سياسي كان يقوم بين الخليفة والقبيلة الذي أصهر منها، فقد كان هذا الخليفة بعد الإصهار من إحدى القبائل العربية يقوم بتقريبها اليه، وإيثارها بالعطاء دون غيرها.

وعلى هذا المبدأ اعتمد معاوية بن أبي سفيان في بناء جند الشام، الذي تحدى به خصومه ومعارضيه. وكان عامل المصاهرة بين البيت الأموي والقبائل العربية بالشام عاملاً رئيسًا في بناء جند الشام من بداية دخولهم إلى بلاد الشام، وخاصة قبيلة كلب، أصحاب الخبرة العسكرية؛ لانخراطهم في جيش الروم واشتراكهم في حروبهم الدائمة ضد الفرس وعرب البادية، فقد اتخذهم الروم هم والقبائل العربية المقيمة على أطراف الشام خط دفاع لها؛ لحماية أملاكها الممتدة إلى أطراف الشام [١٤٢]. وقد كان لهذه الخبرة بلا شك أثرها الفعال في شد أنظار الخلفاء الأمويين لهذه القبيلة. لذلك أصهر منهم خالد بن سعيد بن العاص، وصاهرهم عثمان بن عفان، فتزوج نائلة بنت الفرافضة الكلبية، وعندما ولي معاوية بن أبي سفيان صاهرهم وتزوج "ميسون بنت بحدل الكلبي" [١٤٣]. وهي التي أنجبت له ابنه يزيد [١٤٤]. وبذلك لم يكن معاوية بن أبي سفيان تأليف قبيلة كلب وغيرها من القبائل اليمنية بالشام هدفًا صعبًا، بعد أن انعقدت بينه وبينهم صلة المصاهرة، وبخاصة بعد أن طالت ولايته على بلاد الشام منذ أوائل عهد عمر بن الخطاب حتى نهاية عثمان بن عفان.

وعندما طالب معاوية الخلافة بحجة المطالبة بدم عثمان نصره بنو كلب وأيدوه؛ لأن نائلة امرأة عثمان كلبية، ويوضح الدكتور محمد حلمي سبب اهتمام معاوية بقبيلة كلب

وسائر القبائل اليمنية بالشام من دون قبائل قيس ومضر، فيقول: "تجح معاوية في تكوين شيعة تخدم هدفه الذي كان يعمل له يومئذ، والذي كان من غير المرجح أن يجد له العدد الضخم من المناصرين بين المسلمين الفاتحين، وأكثرهم من قيس ومضر، وكانت وسيلة معاوية في تكوين هذه الشيعة عندئذ هو في الاعتماد على عرب الشام القدامى من اليمنيين، وفي تكوين جيش خاص به، وتكوين علاقات شخصية مع قبائلهم" (١٤٥).

كما كانت مصاهرة معاوية وبني أمية لقبيلة كلب عاملاً ساعد معاوية على تحقيق هدفه في الوصول إلى خلافة المسلمين، وكانت هذه المصاهرة أيضًا عاملاً رئيسًا في نجاح معاوية في اختيار يزيد ابنه لولاية العهد وتنصيبه خليفة على المسلمين؛ لذلك أوصى معاوية ابنه يزيد بالاعتماد عليهم قائلاً: "وانظر عرب الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار، فإن رابك من عدوك أمر فارمه بهم"(١٤٦). ولكن معاوية لم يقنع لولاء كلب والقبائل اليمنية بالشام، وإنما ما يريده من كسب ولاء وجوه القبائل من سائر العرب وبخاصة أهل الشام الذين شعروا أنهم شركاء بني أمية في غنائم الملك بناء على قانون المصاهرة، فعملوا على بقاء الملك فيهم.

ومع بداية أسرة بني مروان وحتى نهاية عصر بني أمية، نجد اختلافًا في سياسة المصاهرة من خلفاء بني مروان نحو القبائل العربية بالشام، فمنهم من صاهر كلب، ومنهم من صاهر قيس، فنجد مروان بن الحكم تزوج من كلب من ليلى بنت زبان بن الإصبع، وينتهي نسبها إلى كلب، وهي أم ابنه عبد العزيز(١٤٧). ومن قيس من قطية بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، هي أم ابنه بشر (١٤٨). وسار عبد الملك بن مروان على سياسة التقريب من اليمنية والقيسية، فنجده يقرب اليه القيسية، ويصهر منهم لابنه مسلمة من الرباب ابنة زفر بن الحارث زعيم القيسية (١٤٩). ولكنه لم يغفل الكلبيين، فقد ظلت لهم مكانتهم لدى عبد الملك، وكان حسان بن بحدل واحدًا من المقربين اليه(١٥٠). أما يزيد بن الوليد فتقرب من اليمنية الذين صعدوا به إلى الخلافة، فتزوج منهم، وكانت تسمى هند بنت زبان الكلبي (١٥١).

ويتضح من سياسة المصاهرة التي اتبعها الخلفاء الأمويون مع القبائل العربية في بلاد الشام، أدت إلى حرص كل خليفة على اصطناع القبيلة التي يصهر منها، فكان يقربها اليه، ويفضلها على غيرها من القبائل.

ديوان الجند والعطاء والأرزاق والغنائم:

كان المسلمون منذ عهد الرسول (ﷺ) وحتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب يقاتلون بدون عطاء أو رزق ثابت، وكانوا إذا فتحوا مدينة أو بلدًا أخذوا نصيبهم من الغنائم التي يحصلون عليها عملاً بالآية الكريمة: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(١٥٢).

ولما انطلقت الجيوش العربية في حروب الفتوحات وحققت انتصاراتها على الفرس والروم، وازدادت الأموال التي غنمها الفاتحون، تطلب الأمر وضع نظام جديد يكفل السيطرة على هذه الأعداد الكبيرة من المقاتلين، وضبط واردات الأمصار الجديدة التي تم فتحها، فأنشأ ديوان (١٥٣) الجند في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م(١٥٤).

أراد الخليفة عمر بن الخطاب أن يجعل من العرب أمة عسكرية ويوجهها للجهاد في سبيل الإسلام، فخصص للمقاتلة رواتب وأعطيات من بيت المال ليكفيهم مؤونة العمل، واراد أن يحفظ سجلاً بأسماء المحاربين وأهلهم، فظهرت هناك صلة وثيقة بين تنظيم الجند وتنظيم الأعطيات وبين إنشاء الديوان (١٥٥).

أما شروط إثبات الجند في الديوان، فقد وضع الفقهاء في العصور المتأخرة شروطًا عديدةً يجب أن يستوفيها كل من أراد الإثبات في ديوان الجند، وهي: الإسلام، والحرية، والسلامة من الآفات، والشجاعة(١٥٦). أما في العصر الراشدي والعصر الأموي، فليس هناك ما يشير إلى الالتزام بجميع هذه الشروط، ولكن يمكن اعتبار شرط الإسلام وشرط البلوغ هما الشرطان الأساسيان لكل من يثبت في ديوان الجند. وكانت أوصاف المقاتلين تدرج في ديوان الجند كمقدار سنه ولونه والعلامات الفارقة في وجهه أو جسمه؛ لئلا تتفق الأسماء(١٥٧).

لذلك فإن ديوان الجند الذي أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب أصبح في العصر الأموي بسبب توسع الفتوح يحظى باهتمام الخلفاء والولاة الأمويين، وتولى ديوان الجند وإحصاءهم، وتولى استدعاءهم للحملات العسكرية، وبيان استحقاق كل منهم من الأرزاق والعطاء، وتجهيزهم بالسلاح والعدد والمهمات الحربي، وتثبيت أسماء الملتحقين الجدد وحذف أسماء المتخلفين، أو من استشهد في المعارك، أو من استعفى من الخدمة لأي

سبب كان، وأصبح أولئك المقاتلون الجند النظامي للدولة الأموية، فكان القواد إذا ما أرادوا الإعداد للحملات العسكرية، أحضروا دفاتر الديوان، واختاروا منها المقاتلين [١٥٨].

وإذا كانت خلافة عبد الملك بن مروان، قد شهد حركة تنظيم وتعريب الدواوين إلى العربية، فإن خلافة هشام بن عبد الملك تميزت بدقة تنظيم هذه الدواوين بشهادة عبد الله بن علي بن العباس بعد قيام الدولة العباسية، فقال: "جمعت دواوين بني مروان، فلم أرَ ديوانًا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام"[١٥٩].

وقد اشتغل عدد كبير من بني أمية ككتاب لديوان الجند في العصر الاموي، منهم عبدالملك بن مروان، الذي كان كاتب الجند في المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان[١٦٠]. وعمرو بن سعيد بن العاص الذي تولى ديوان الجند في خلافة معاوية وابنه يزيد[١٦١].

مصادر العطاء:

بعد أن تم وضع الديوان على عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وتثبيت أسماء المقاتلين ومقدار أعطياتهم، كان لا بد من مورد ثابت لتأمين عطاء الجند وأرزاقهم، ولمن يأتي بعدهم، ويهمنا هنا ديوان جند الشام.

ففي رواية عن البلاذري أن الخليفة عمر بن الخطاب قدم الجابية، فأراد قسمة الأرض بين المسلمين؛ لأنها فتحت عنوة، فقال معاذ بن جبل: "والله لأن قسمتها ليكونن ما تكره، ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم، ثم يبيدون، فيبقى ذلك لواحد، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون الإسلام مسدًا، فلا يجدون شيئًا، فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم، فصار إلى قول معاذ" [١٦٢].

وبعد أن عقد الخليفة عمر مجلسًا حضره عدد من المهاجرين والأنصار للتشاور في الأمر، قال لهم: "وقد رأيت أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئًا للمسلمين، المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم، أرأيتم هذه الثغور لا بد من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر، لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون"[١٦٣]. ولذلك أصبحت أموال الفيء وهي واردات الأراضي المفتوحة من الخراج والجزيرة هي المورد الأساسي لعطاء الجند وأرزاقهم [١٦٤].

وقد سار الأمويون على القواعد التي وضعها عمر بن الخطاب في تأمين أعطيات الجند من إيرادات الخراج والجزيرة، فإذا ما زادت أموال الخراج والجزية زيادة حملت هذه الزيادة إلى الخليفة ليضعها في بيت المال المعد للمصالح العامة، أو كمل النقص في أعطيات المقاتلة في أمصار أخرى [١٦٥]. وقد تراوحت أعطيات المقاتلة بين خمسة إلى ثلاثة آلاف درهم سنويًا [١٦٦].

وفي العصر الأموي تطور نظام العطاء، فلم تعد المقاييس التي وضعها عمر ابن الخطاب كالسبق في الإسلام، وإنما الذي كان يقرر ذلك الولاء لبني أمية والخدمة في قواتها. فقد تبارت أبرز قبائل الشام وهم اليمنيون والقيسيون في إظهار الولاء لمعاوية بن أبي سفيان مقابل المكافآت المادية والتعيين في الوظائف[١٦٧]. وقد اشترط الكلبيون على مروان بن الحكم لكي يتولى الخلافة أن يكون لهم نفس الامتيازات التي كانت لهم أيام معاوية وابنه يزيد، ومن هذه الامتيازات أن يفرض لهم عطاء سنويًا لألفي رجل منهم يقدر بألفي ألفين، وإن مات صاحب هذا العطاء أعطى لابنه أو لابن عمه [١٦٨].

وكان الحد الأدنى لعطاء الجند في العصر الأموي يتراوح ما بين مائتين إلى ثلثمائة درهم سنويًا [١٦٩]. ويبدو أن هذا ما كان يأخذه غالبية الجند، وخاصة رجال القبائل، واستمر هذا المقدار كحد أدنى للعطاء حتى نهاية العصر الأموي[١٧٠]. وكان العطاء يدفع في شهر محرم من بداية كل سنة هجرية، فقد ذكر البلاذري أنه: "ما بلغ الناس عاشوراء (المحرم) قط أيام زياد إلا وطائفة يأخذون العطاء، فكان زياد إذا أهل المحرم أخرج للمقاتلة أعطياتهم" [١٧١].

وكانت تدفع للمقاتلة في بعض المناسبات مبالغ تسمى المعونة [١٧٢]. وقد أعطي لكل رجل من جند الشام انتدب لقتال ابن الزبير مائة دينار معونة [١٧٣].

تسليح أصحاب العطاء بالسلاح:

وكان يشترط على المقاتلة من أصحاب العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالسلاح، فيذكر البلاذري إذا خرج أحد للقتال "أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس غبر وخيوط كتان وبمخصف ومقراض ومخلاة وتليسة"[١٧٤]. وكان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عماله ألا يقبلوا من رجل له من العطاء مائة دينار إلا فرس ودرع وسيف ورمح ونبل [١٧٥]. ولعل هذا الشرط الذي وضعه الخليفة عمر بن عبد العزيز يبدو

مقبولاً؛ لأن من كان عطاؤه مائة دينار بمقدوره أن يجهز نفسه بما طلب منه. وفي مقابل ذلك فإن من أصيب فرسه في الحرب فليس عليه شيء [١٧٦]. ومن هلكت دابته بسبب الحرب، أو استهلاك سلاحه عوض عنهما [١٧٧].

الأرزاق:

والرزق هو ما يعطى للمقاتل وعياله من المواد العينية شهريًا، إضافةً إلى إعطائه السنوي، وكان الخليفة عمر بن الخطاب أول من أمر للمقاتلة وعيالهم بالرزق الشهري الثابت [١٧٨]. وقد عني الأمويون بتنظيم الأرزاق، وكان توزيع الأرزاق يجري شهريًا، وغالبًا ما يكون ذلك في شهر رمضان؛ حيث يكون الناس على استعداد للصيام. ويقول البلاذري: "كان زيادًا إذا أهل المحرم أخرج للمقاتلة أعطياتهم، وإذا رأى هلال شهر رمضان أخرج للذرية أرزاقهم" [١٧٩]. ولقد كانت الحنطة هي المادة الرئيسة التي يعتمد عليها الناس في حياتهم المعيشية؛ لذلك كانت الأرزاق توزع من الحنطة غالبًا، إضافة إلى المواد الأخرى؛ كالسمن والتمر. ففي خلافة هشام بن عبد الملك فتح الأمير مسلمة بن عبد الملك مدينة باب الأبواب في أرمينية بجند الشام، وبنى فيها مخازن للحبوب (الحنطة والشعير) [١٨٠]. وبسبب غنى الأقطار الإسلامية بالمنتجات الزراعية، وخاصة الحنطة والشعير، وتوافر هذه المواد الضرورية، لم تنشأ للدولة الأموية أية مشكلة في توزيع الأرزاق [١٨١]. إضافة إلى ما يحصل عليه المقاتلون من غنائم البلاد المفتوحة، وإمكانهم شراء المواد الغذائية من عطائهم، أو من أسهم غنائمهم.

الغنائم:

وهي ما يحصل عليه المقاتلون من العدو بعد المعركة من السلاح والمال والأمتعة والأسرى. وقد عرف ابن سلام الغنيمة بقوله: "إنه ما ينل من أهل الشرك عنوة أو قسرًا فهو الغنيمة التي تخمس، ويكون سائرها لأهلها خاصة"[١٨٢]. لذلك فإن الغنائم توزع على من اشترك فعلاً في الحرب، ولا يشاركهم فيها أحد. أما خمس الغنيمة فكان يرسل إلى الخليفة [١٨٣]؛ لصرفها عملاً بما ورد في القرآن: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [١٨٤].

أما تقسيم الغنائم، فكان يتم على أساس الأسهم، ويفضل الفارس على الراجل؛ لما يبذله من جهد وعناء[١٨٥]. وتقسم الغنيمة بعد إخراج الخمس منها، فيكون للرجال منها سهم واحد، أما الفارس فكان يعطى له إما ثلاثة أسهم: سهم له وسهمان لفرسه [١٨٦]، أو

يعطى له سهمان: سهم له وسهم لفرسه [١٨٧]. ولا يفرق عند تقسيم الغنائم بين المتطوعة من الجند وبين أصحاب الديوان [١٨٨].

جند الشام والتجنيد الإلزامي:

يمكن اعتبار ديوان الجند الذي أنشئ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، الخطوة الأولى في عملية التجنيد الإلزامي للمقاتلين، والتي كانت تؤمن للدولة الأعداد الوفيرة من المقاتلين [١٨٩]. وكان عطاء الجند السنوي يلزمهم بالقتال إذا دعت الحاجة إليه، فما دام المقاتل قد ضمن عطاءه وعطاء أهله، فقد لزمه الجهاد إذا دعي اليه، واستوفى شروطه [١٩٠]. وفي هذه الحالة كان المقاتلون يتمتعون بكامل حقوقهم التي منحها الإسلام، وقد أشار فلهاوزن إلى ذلك بقوله: "ولم يكن يستطيع الإنسان في الإسلام أن يتمتع بما للمواطن من حقوق إلا في الجيش وفي المدن ومعسكرات الجيش الكبرى" [١٩١]. وكان العقاب ينال كل من يتخلف عن القتال من أصحاب الديوان.

وقد أولى معاوية بن أبي سفيان عملية إعداد الجند وتهيئة المقاتلين اهتمامًا خاصًا. وأصبح رجال القبائل العربية في بلاد الشام القوة الأساسية للجيش، وخاصة جند الشام، واستطاع أن يجند منهم أعدادًا كبيرة في الحملات البرية والبحرية [١٩٢].

وبالنظر لتأييد القبائل العربية في الشام للأمويين وخاصة المراونيين، وتفضيل هؤلاء لهم في العطاء، فقد نجح المروانية في الاعتماد على جند الشام، وتوجيههم للقضاء على الحركات والفتن التي كانت تهدد البيت المرواني، فكان لجند الشام وقوادهم أمثال سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي دور كبير في القضاء على هذه الفتن[١٩٣].

وقد أصبح التجنيد الإلزامي في عهد هشام بن عبد الملك ضمن التنظيمات العسكرية لجند الشام، فلم يكن يسمح لأحد بالتخلف عن الخروج للحروب، واشترط على كل من يأخذ العطاء من أصحاب الديوان أن يخرج للحرب أو يخرج عنه بديل، ويظهر أن هذا الشرط كان في عهد الخليفة هشام ساريًا حتى على أعضاء البيت المرواني؛ فلم يُستثنَ هشامٌ نفسه من ذلك، فقد كان يعقوب مولى هشام يأخذ عطاء هشام، ويخرج بدلاً منه[١٩٤]. ومما يدل على الجدية في تطبيق هذا الشرط في عهد هشام بن عبد الملك، أن

أحدًا لم يجرؤ على التخلف أو التهرب في الخروج للحرب، إلا إذا تولى بعض الأعمال التي تعفيه من ذلك؛ كالاشتغال ببعض أعمال الديوان(١٩٥).

وفي سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، تمكن مروان بن محمد في خلافة يزيد بن الوليد أن يضم إلى عسكره أعدادًا كبيرة من جند الشام والجزيرة ممن حاولوا بعد مقتل الوليد بن يزيد الهروب من أجنادهم والعبث بالنظام، ونهب القرى، فضبطهم، ثم أمرهم باللحاق بأجنادهم(١٩٦).

وبذلك حقق نظام التجنيد الإلزامي للدولة الأموية الأعداد الكبيرة من المقاتلين، وخاصة جند الشام الذين خاضت بهم الدولة حروبها مع الدولة البيزنطية، والقضاء على المعارضة في العراق والشمال الإفريقي والأندلس.

الأسلحة:

كانت أبرز الأسلحة التي استخدمها المسلمون منذ عهد الرسول (ﷺ) هي السيف والرمح والقوس، إضافة إلى الأسلحة الدفاعية؛ كالدروع والترس والبيضة (الخوذة)، وكانت هذه الأسلحة هي عدة الجيوش العربية في الحروب؛ لذلك برعوا في استخدامها براعة فائقة. ولدراسة أنواع الأسلحة التي استخدمها جند الشام خلال العصر الأموي، سنقسمها إلى أسلحة هجومية وأسلحة دفاعية.

وتنقسم الأسلحة الهجومية إلى أسلحة خفيفة وأسلحة ثقيلة. أما الأسلحة الخفيفة فهي التي تستخدم من قبل شخص واحد، مثل "السيف"، وهو أشهر الأسلحة وأقدمها، وكان المقاتلون العرب يجيدون استخدام السيف في القتال والمبارزات الفردية رجاله وفرسانًا إجادة كبيرة، وكان أبطالهم وفرسانهم يفضلون استخدام السيف القصير دلالة على الشجاعة والاستبسال في القتال (١٩٧). وكان السيف يصنع من الحديد، ويسمى (السيف الأثيث) (١٩٨). أو يصنع من الحديد والصلب أو الفولاذ، وهو من أقوى السيوف وأمضاها، ويسمى (السيف الفولاذ) (١٩٩). أما شكل السيوف فقد استخدم العرب منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي السيوف المستقيمة ذات الحدين (٢٠٠). وإن نصالها تنتهي بطرف مدبب مثلث الشكل (٢٠١).

الرمح: ولا يقل الرمح أهمية عن السيف، فهو من أسلحة العرب المعروفة، وكان يتسلح به الفرسان والرجالة، ويسمى بالقناة (٢٠٢). لأنه عبارة عن قناة من خشب الزان

أو الشوحط، ركب فيها سنان من الحديد [٢٠٣]. وأحسن الرماح ما كان متينًا ومرنًا؛ لضمان عدم انكساره عند الطعن به.

القوس والسهم: وهو من الأسلحة القديمة التي استخدمها العرب ببراعة، واستطاعوا أن ينتزعوا من خصومهم ميزة التفوق في استخدامه، وهو السلاح الرئيس لصف الرماة، وكان يتسلح به الخيالة أيضًا، والقوس عود يؤخذ من خشب النبع [٢٠٤]. وهو خشب لين متين ويقوس كالهلال، ويثبت فيه الوتر لغرض لمر السهام أو النبال [٢٠٥]. وقد طور العرب القوس، فظهر منها نوع يسمى (القوس العربية)، وتسمى أيضًا بقوس الحسبان؛ لأنها ترمي عددًا من السهام يتراوح ما بين أربعة أو خمسة أسهم، فإذا دفعها الوتر خرجت كالجراد المنتشر في دفعة واحدة، فلا بد أن يصيب واحد منها الهدف [٢٠٦].

الأسلحة الثقيلة: وهي الأسلحة التي يتولى العمل بها وإعدادها واستخدامها في القتال عدد من الجند، وتمتاز بتأثيرها الفعال والواسع أثناء القتال؛ لما تسببه من تخريب وهدم وحرائق، ومنها: المنجنيق، والدبابة، ورأس الكبش، وسلالم الحصار[٢٠٧].

ويوجد أيضًا ما يعرف بالتحصينات الدفاعية، ومنها الأسلحة الدفاعية الخفيفة، وهي التي يستخدمها المقاتلون للوقاية من تعرضهم للإصابة بأسلحة العدو؛ كضربات السيوف، أو طعنات الرماح، أو السهام، مثل الدروع والبيضة (الخوذة)، وهي من ملحقات الدرع، وهي غطاء من حديد يغطي الرأس لحمايته من ضربات السيوف أو الحجارة أو السهام[٢٠٨]. والترس وكان يصنع من الجريد أو الخشب، ثم يغطى بالجلود ليحمي من طعنات السلاح [٢٠٩].

وبذلك يظهر لنا أن العرب كانوا بارعين في مجال التسليح وفي استخدام الأسلحة المعروفة لديهم؛ كالسيف والرمح والقوس بما يتناسب وروح الفروسية والشجاعة، وعندما تقابلوا مع جيوش الروم والفرس وقعت بأيديهم أعداد هائلة من أسلحة أخرى لم يقفوا عند استخدامها، بل إنهم طوروها وفاقوا بها أعداءهم.

اختيار القواد: تُعد القيادة الناجحة من أهم عوامل تحقيق النصر الحاسم في المعركة، وقد شهد العصر الأموي عناصر قيادية على مستوى عالٍ من الكفاءة والقابلية في إدارة المعارك، خاصة في العصر المرواني. فلم يخف على عبد الملك بن مروان المزايا القيادية

الفريدة للمهلب بن أبي صفرة، وسفيان بن الأبرد الكلبي، فقد كان هؤلاء من الشجعان والأبطال المعدودين والمعاونين للبيت المرواني [٢١٠].

عقد الألوية: يُعد اللواء والراية رمزًا للقيادة وإمارة الجيش، لذلك كان الجند يلتفون حوله، ويقاتلون عنه، وإن بقاء الراية أو اللواء مرفوعًا دلالة على احتفاظ الجيش بقوته، أما سقوطها فهو علامة على انكسار ذلك الجيش، لذلك كانوا لا يسلمون اللواء أو الراية إلا للشجعان والأبطال من الجند [٢١١].

وهناك فرق بين اللواء والراية، فاللواء يكون كبيرًا، ولونه أبيض عادةً، فكل الألوية التي عقدها الرسول (ﷺ) لأصحابه، أو التي كان يخرج بها في غزواته كان لونها أبيض[٢١٢].

أما الراية، فتكون مختلفة الألوان؛ لتدل على الوحدات والفرق المختلفة، وهي أصغر من اللواء، الذي هو الرمز العام للجيش، ومقره القيادة [٢١٣]. وكان موضع اللواء عادة في القلب [٢١٤]. أما الرايات فتوزع على القبائل، وتتخذ كل قبيلة لها لونًا معينًا؛ لتتميز به عن القبائل الأخرى، ويستطيع القائد أن يراقب ألوان الرايات ليعرف مواقع القبائل المقاتلة [٢١٥].

واتخذ الأمويون اللون الأبيض لألويتهم؛ تخليدًا لذكرى غزوة بدر، التي كان لواء الرسول (ﷺ) فيها أبيض[٢١٦].

وبذلك يتضح لنا من خلال الأساليب والتنظيمات العسكرية لجند الشام أنها ساعدتهم في إدارة المعارك بشكل رائع في فن القيادة.

الخاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة أن جند الشام في العصر الأموي كانوا قوة عسكرية داعمة للبيت المرواني، وأن القبائل العربية اليمنية خاصة هي نواة جند الشام وحملة رايته. وداعمة مواجهات البيت المرواني العسكرية في بلاد الحجاز والعراق والشمال الإفريقي والأندلس والجبهة البيزنطية.

ويتضح لنا حقيقة مهمة، هي ظهور التجنيد بشكله الإلزامي، وتطبيقه على الجند الشامي بعد تأسيس ديوان الجند وأعطياتهم، وجعل شرط القتال واجبًا على كل من يأخذ العطاء.

ومن الحقائق الأخرى التي ظهرت من خلال هذه الدراسة، أن جيش جند الشام في العصر الأموي أصبح مؤسسة كبيرة، له تنظيماته العسكرية المتميزة، وأسلحته المتنوعة، وقيادته المتميزة.

ويتضح لنا أيضًا أنه قد طور جند الشام إمكانياتهم القتالية بشكل كبير، وتميزوا عن الجيوش العربية الأخرى بأسلوبهم القتالي المتميز، الذي ساعد ودعم البيت المرواني في الحكم. إلا أنه رغم تدعيم جند الشام للبيت المرواني، إلا أنهم أصبحوا معول هدم لحكم هذا البيت في أواخر عهودهم.

حواشي البحث

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، حققه: د. سهيل ذكار، ود. رياض زركلي، دار الفكر، لبنان، ط١، ج٥، ص ٧ وما بعدها.

(٢) د. إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١، ص ١٦٣.

(٣) د. إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج١، ص ١٦٤.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر (٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج٢، ص ١٨٤، وما بعدها.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٨٧، وما بعدها.

(٦) انظر عن الخوارج في: ابن حزم، أبو محمد بن علي (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، ج٣، ص ١٢٧، وما بعدها.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط. الخامسة، ج٥، ص ٦٧ وما بعدها.

(٨) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢١٤، ٢١٥؛ عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ص ١٢٦.

(٩) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٢٥.

(١٠) محمد حلمي أحمد: الخلافة والدولة في العصر الأموي، ط٢، ١٩٧٤م، ص ٩١، ٩٢.

(١١) محمد حلمي: الخلافة والدولة، ص ١٩٢.

(١٢) محمد حلمي: الخلافة والدولة، ص ١٩٢.

(١٣) د. إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج١، ص ١٦٨.

(١٤) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، راجعه: أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عبادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ٢٠٠٣م، ج٨، ص ١٣٧ وما بعدها.

(١٥) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٨٣؛ محمد حلمي: الخلافة والدولة، ص ١٩٢.

(١٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ١٩١.

(١٧) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(١٨) خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط العصفري (ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٩٦.

(١٩) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢٠) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٥٥.

(٢١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٥٥.

(٢٢) تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٤٠؛ تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٥٥.

(٢٣) محمد حلمي: الخلافة والدولة، ص ١٠٧.

(٢٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص ٢٥٩؛ تاريخ الطبري، ج٥، ص ٥٣٠.

(٢٥) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٥٣٠.

(٢٦) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص ٥٣٠.

(٢٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص ٢٦٧.

(٢٨) البلاذري: أنساب، ج٦، ص ٢٦٩.

(٢٩) البلاذري: أنساب، ج٦، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٣٠) البلاذري: أنساب، ج٦، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت،٢٠٠٢م، ج٣،ص٦١٩، ٦٢٠.

(٣٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٦٢١.

(٣٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٠.

(٣٤) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٧٠٨.

(٣٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٧٠.

(٣٦) تاريخ ابن خياط، ص ٢٠٤.

(٣٧) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٤٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٨ وما بعدها.

(٣٨) تاريخ ابن خياط: ص ٢٠٤؛ البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٤٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٨ وما بعدها.

(٣٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٠.

(٤٠) د. محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م، ص ١١٥.

(٤١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٦.

(٤٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٨٧.

(٤٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٥٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٨٤.

(٤٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٥٧؛ البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٨٩.

(٤٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٧.

(٤٧) يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: د. حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٠.

(٤٨) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٥٩، ١٦٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٨.

(٤٩) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ١١٣ وما بعدها؛ تاريخ ابن خياط، ص ٢٠٦.

(٥٠) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٧٤، ١٧٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٧٥؛ جمال الدين سرور: الحياة السياسية، ص١١٦.

(٥١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١١٨؛ جمال الدين سرور: الحياة السياسية، ص١١٧.

(٥٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٨٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٢٢.

(٥٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٨٩.

(٥٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص ١٢٠؛ جمال سرور: الحياة السياسية، ص ١١٨.

(٥٥) تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٨٨، ١٨٩؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٠، ١٢١.

(٥٦) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٠.

(٥٧) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ١٢٦؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢١.

(٥٨) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ١٢٦؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٢.

(٥٩) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٢.

(٦٠) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٢٤٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٣٥٠.

(٦١) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٥٥؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٣٥٣.

(٦٢) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٥٥، ٥٦، ٥٧؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٦٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٨.

(٦٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٧٣.

(٦٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٢٠ وما بعدها.

(٦٦) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣، ص ١٢٩.

(٦٧) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٧٥ وما بعدها.

(٦٨) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٩٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٠٠، ١٠١.

(٦٩) ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م): كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، لبنان، ١٩٩١م، ج٧، ص ٥٩.

(٧٠) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٠٤.

(٧١) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٩٩، ٢٠٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٠٧.

(٧٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٠ وما بعدها.

(٧٣) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٠٩.

(٧٤) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٠٤، ٣٠٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٢٠.

(٧٥) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٠٩ وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٧٦) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣١٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٣٠.

(٧٧) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣١٩، وما بعدها.

(٧٨) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٣١.

(٧٩) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٣٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٣٦ وما بعدها.

(٨٠) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٥٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ١٠٤.

(٨١) عندما تولي الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥- ٩٥هـ/ .....) ولاية العراق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، أقام بالكوفة سنة ومثلها بالبصرة، وأخمد الفتن فيهما، ولكي يسيطر على هذه المناطق بيسر شيد على ضفة دجلة الغربية بلدة سماها "واسط" لتوسطها بين البصرة والكوفة، وجعلها مقرًا لحكمه.

كي ليسرنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٥٩.

(٨٢) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٤١.

(٨٣) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٤١.

(٨٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح،، ج٧، ص ١٣٥.

(٨٥) كان يزيد بن المهلب موظفًا قديرًا، ولكن كان زعيمًا من زعماء اليمانية، وكان الحجاج قد نحاه عن العمل عام ٨٤هـ/ ٧٠٤م، وأقنع عبد الملك بإقصائه عن ولاية خراسان التي لم يقضي فيها إلا سنة واحدة.
تاريخ ابن خياط، ص ٢٤٣؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ١٣٠.

(٨٦) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ١٧٥، وما بعدها.

(٨٧) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ١٨٥، وما بعدها.

(٨٨) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ٢٠٢.

(٨٩) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٩٠) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ١٩٧، وما بعدها.

(٩١) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ٢٠١ وما بعدها؛ إبراهيم أحمد العدوي: الأمويون والبيزنطيون، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٨٢ وما بعدها.

(٩٢) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ٢١١؛ إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج١، ص٧٠.

(٩٣) ذكر أن سبب الخلاف بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك، أن يزيد بن المهلب لما ولي العراق عاقب أصهار يزيد بن عبد الملك من آل أبي عقيل، وهم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يزيد بن عبد الملك متزوجًا بنت محمد بن يوسف، وله ابنه الوليد بن يزيد منها، وكان يزيد يقول: لئن وليت لأقطعت من يزيد بن المهلب طائفة. انظر: الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ٥٦٤.

(٩٤) ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ٢٢٢.

(٩٥) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ٥٦٣ وما بعدها، ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ٢٢١ وما بعدها.

(٩٦) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٣٦؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ٢٣٩.

(٩٧) ابن أعثم: الفتوح، ج٧، ص ٢٣٤.

(٩٨) تاريخ ابن خياط، ص ٢٦٦.

(٩٩) ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(١٠٠) تاريخ ابن خياط، ص ٢٧٠.

(١٠١) تاريخ ابن خياط، ص ٢٧١.

(١٠٢) البلاذري: فتوح البلدان، راجعه: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٠٩.

(١٠٣) تاريخ ابن خياط، ص ٢٧٤، ٢٧٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(١٠٤) تاريخ ابن خياط، ص ٢٧٥.

(١٠٥) تاريخ ابن خياط، ص ٢٧٥.

(١٠٦) تاريخ ابن خياط، ص ٢٧٥.

(١٠٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٠؛ الأزدي (أبو زكريا): تاريخ الموصل، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، ص ٤٠ وما بعدها.

(١٠٨) الأزدي: تاريخ الموصل، ج٢، ص ٧٠.

(١٠٩) ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله (ت: ٢٥٧هـ/ ٨٧١م): سيرة عمر بن عبد العزيز، القاهرة، ١٩٢٧م، ص ١٥.

(١١٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٢٩.

(١١١) عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ١٨١.

(١١٢) عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٨١، ٨٢.

(١١٣) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٣٦؛ عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام، ص ١٨٥.

(١١٤) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٤٨؛ عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام، ص ١٨٦.

(١١٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها: تحقيق عبد المنعم عامر، نشر لجنة البيان العربي، ١٩٠٦م، ص ١٩١؛ عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام، ص ١٩١.

(١١٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٧.

(١١٧) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٦٠.

(١١٨) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٥٦.

(١١٩) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٦٨.

(١٢٠) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٣٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٧٦.

(١٢١) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٧٦.

(١٢٢) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٧٩، ٤٨٠.

(١٢٣) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٨٠.

(١٢٤) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٨٠، ٤٨١.

(١٢٥) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٨٥.

(١٢٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٣٧.

(١٢٧) تاريخ ابن خياط، ص ٢٩٧.

(١٢٨) تاريخ ابن خياط، ص ٢٩٨.

(١٢٩) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(١٣٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٨، ١١٩.

(١٣١) "عندما قدم على الخليفة عمر بن الخطاب جماعات من أهل اليمن من قبائل بجيلة والأزد يريدون الاشتراك في الفتوح، قال لهم: أي الوجوه أحب إليكم؟ قالوا: الشام؛ فإن أسلافنا بها". الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص ٤٦٢، ٤٦٣؛ دكسن (عبد الأمير): الخلافة الأموية، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٤٠.

(١٣٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٥.

(١٣٣) أما الطبري، فيشير إلى أن مجموع هذه القوات كان واحدًا وعشرين ألفًا مضافًا إليها ستة آلاف بقيادة عكرمة بن أبي جهل، الذي كان ردءًا لهذه القوات، وحمايةً لمؤخرتها، فيكون مجموعها سبعة وعشرين ألفًا. ج٣، ص ٣٩٢.

(١٣٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥.

(١٣٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٠، ١٤١.

(١٣٦) الطبري: ج٥، ص ١٤، ٢٤؛ نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٢٢٩.

(١٣٧) الجابية: هي قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، م٢، ص ٩١.

(١٣٨) البلاذري: فتوح، ص ١٣٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ص ...

(١٣٩) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، وآخرين، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٦٤، ٦٥.

(١٤٠) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ١٤، ٢٤، ٣٤؛ نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٢٢٩. ويستعرض يزيد بن معاوية القبائل العربية التي يتكون منها جيشه في أبيات الشعر التي أرسلها إلى عبد الله بن الزبير، ويفتخر بهم قائلاً:

استعبد ربك في السماء فإنني أدعو إليك رجال عك وأشهر

ورجـــال كلـــب والســـكون ولخمهـــا وجـــذام تقـــدمها كتائـــب حميـــر
كيـــف النجـــاء أبـــا حبيـــب مـــنهم فاحتـــل لنفســـك قبـــل أتـــي العســـكر

البلاذري: أشراف الأنساب، ج٥، ص ٣٤١.

(١٤١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧،ص٤٨. دكسن: الخلافة الأموية، ص١٥١- ١٥٢.

(١٤٢) محمد حلمي: الخلافة والدولة الأموية، ص ١٧١.

(١٤٣) االطبري:تاريخ الطبري، ج٤، ص١٦٠؛ محمد حلمي:الخلافة والدولة الأموية،ص١٠٦.

(١٤٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٥٠٠؛ محمد حلمي أحمد: الخلافة الدولة الأموية، ص ١٠٦؛ إبراهيم أحمد العدوي: الأمويون والبيزنطيون، ص ٥٧. وقد تزوج يزيد أخت حسان بن مالك بن بحدل، فولدت له معاوية الثاني.

(١٤٥) محمد حلمي: الخلافة والدولة الأموية، ص ١٧٢.

(١٤٦) ابن طباطبا، محمد بن علي: الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت، ص ١١١، ١١٢.

(١٤٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٦٤.

(١٤٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٦٤.

(١٤٩) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٠٧.

(١٥٠) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٣٩.

(١٥١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٣٢.

(١٥٢) سورة الأنفال، الآية (٤١).

(١٥٣) لفظ "ديوان" يعني مجموعة سجلات أوراق، ثم أصبحت تعني في مجال الإدارة سجلاً للجند، ثم أصبحت بعد ذلك تعني مكان حفظ السجلات والكتب والقوائم التي تحوي أسماء الجند وأوصافهم ومقدار أعطياتهم. والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال" الماوردي (علي بن حبيب): الأحكام السلطانية، المكتبة التوفيقية، ص ٢٢٦. وحداد ابن خلدون عمل الديوان "بأنه يلزم القيام على أعمال الجبايات، وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج، وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم، وصرف أعطياتهم في إباناتها" ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨١٨هـ/ ١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، ص ٢٦٨.

(١٥٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(١٥٥) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٣٠؛ عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، بغداد، ١٩٥٠م، ج١، ص ١٨٧- ١٨٨.

(١٥٦) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): كتاب الخراج، القاهرة، ١٣٥٢هـ. ط. الثانية، ص ١٧٥؛ الماوردي: الأحكام، ص ٢٠٣، ٢٠٤؛ أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م): الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(١٥٧) الماوردي: الأحكام، ص ٢٠٣؛ أبو يعلى: الأحكام، ص ٢٢٢.

(١٥٨) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٧٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٩٦.

(١٥٩) الطبري: ج٧، ص ٢٠٣.

(١٦٠) البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٩٤.

(١٦١) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٤.

(١٦٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٦.

(١٦٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٥.

(١٦٤) أبو يوسف: الخراج، ص ١٢٤؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م): كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٦٨٨؛ الماوردي: الأحكام، ص ١٢٦.

(١٦٥) الماوردي: الأحكام، ص ١٢٧.

(١٦٦) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٤؛ البلاذري: فتوح، ص ٤٣٥.

(١٦٧) دكسن: الخلافة الأموية، ص ١٤٣.

(١٦٨) المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص ٨٤.

(١٦٩) الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص ٦١٤، ج٤، ص ٢٢٢.

(١٧٠) البلاذري: أنساب، ج٥، ص ٢٢٧.

(١٧١) البلاذري: أنساب، ج٥، ص ٢٢٧.

(١٧٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منبع البصري (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م، ج٥، ص ٣٧٥.

(١٧٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٨٣.

(١٧٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٧؛ البلاذري: فتوح، ص ٣١٤.

(١٧٥) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ٣٥١.

(١٧٦) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٧.

(١٧٧) الماوردي: الأحكام، ص ٢٠٦؛ أبو يعلى: الأحكام، ص ٢٢٧.

(١٧٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٧.

(١٧٩) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٢٧.

(١٨٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٩.

(١٨١) العلي (صالح أحمد): التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٣م، ص ١٤٧.

(١٨٢) ابن سلام: الأموال، ص ٢٦١.

(١٨٣) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٥٣٩.

(١٨٤) سورة الأنفال، الآية (٤١).

(١٨٥) الماوردي: الأحكام، ص ١٤٠.

(١٨٦) أبو يوسف: الخراج، ص ١٨، ١٩.

(١٨٧) أبو يوسف: الخراج، ص ١٩؛ الماوردي: الأحكام، ص ١٤٠.

(١٨٨) أبو يوسف: الخراج، ص ١٩؛ الماوردي: الأحكام، ص ١٤١.

(١٨٩) إبراهيم أحمد العدوي: النظم الإسلامية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م، ص ٣١٤.

(١٩٠) عبد الرؤوف عون:الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر،١٩٦١م،ص ٩٨

(١٩١) يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٥٥.

(١٩٢) دكسن: الخلافة الأموية، ص ١٤٣.

(١٩٣) دكسن: الخلافة الاموية، ص ٢٦٥، ٢٦٩؛ فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٣٠.

(١٩٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٧، ص ٢٠٢.

(١٩٥) الطبري: المصدر السابق، ج٧، ص ٢٠٢.

(١٩٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٧، ص ٨٠.

(١٩٧) الجاحظ، ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٢٨م، ج٣، ص ٢٧.

(١٩٨) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون العرب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م، ج٦، ص ٢٠٢.

(١٩٩) عبد الرحمن ذكي: السيف في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٣٤.
(٢٠٠) عبد الرحمن ذكي: السيف، ص ٢٧- ٢٨.
(٢٠١) خضير عباس غضبان: تأثير فن الحرب العربي على العالم، ١٩٧٨م، ص ١٠٤.
(٢٠٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٥٢.
(٢٠٣) الطرسوسي (مرضي بن علي): تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، ترجمة: كلود كامين، بيروت، ١٩٠٤م، ص ١١.
(٢٠٤) ذكي: السيف، ص ٣٣.
(٢٠٥) عون: الفن الحربي، ص ١٣٠.
(٢٠٦) الطرسوسي: تبصرة أرباب الألباب، ص ٨-٩.
(٢٠٧) عبد الرحمن ذكي: السلاح في الإسلام، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٣٣ وما بعدها.
(٢٠٨) ذكي: السلاح، ص ٢٣.
(٢٠٩) عون: الفن الحربي، ص ٨٦.
(٢١٠) نافع توفيق العبود: آل المهلب ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن ٤هـ، ط١، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٦٤.
(٢١١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٢٩٠.
(٢١٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧.
(٢١٣) عون: الفن الحربي، ص ٨٣.
(٢١٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٢٣٠.
(٢١٥) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٢٩١.
(٢١٦) عون: الفن الحربي، ص ٨١.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

١. القرآن الكريم.
٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م.
٣. الأزدي، أبو زكريا (ت: ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م): تاريخ الموصل، القاهرة، ١٩٦٧م .

٤. ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م): كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، لبنان، ١٩٩١م.
٥. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):
- أنساب الأشراف، حققه: د. سهيل ذكار، ود. رياض زركلي، دار الفكر، لبنان، ط١ .
- فتوح البلدان، راجعه: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م .
٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):
- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٢٨م .
- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٤م .
٧. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٣٨م .
٨. ابن حزم، أبو محمد بن علي (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية.
٩. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨١٨هـ/ ١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت .
١٠. خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط العصفري (ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م .
١١. ابن سعد، محمد بن سعد بن منبع البصري (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م .
١٢. ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م): كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٥م.
١٣. ابن طباطبا، محمد بن علي: الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت .
١٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط. الخامسة.
١٥. ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله (ت: ٢٥٧هـ/ ٨٧١م):

- فتوح مصر وأخبارها: تحقيق عبد المنعم عامر، نشر لجنة البيان العربي، ١٩٠٦م.
- سيرة عمر بن عبد العزيز، القاهرة، ١٩٢٧م .

١٦. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، راجعه: أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عبادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ٢٠٠٣م .

١٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م.

١٩. نصر بن مزاحم (ت: ٢١٢هـ/ ٨٢٧م): وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٠. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون العرب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م .

٢١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م .

٢٢. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر (٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت .

٢٣. أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م): الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٣٨م.

٢٤. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): كتاب الخراج، القاهرة، ١٣٥٢هـ. ط. الثانية.

المراجع:

٢٥. إبراهيم أحمد العدوي:

- الأمويون والبيزنطيون، مكتبة الأنجلو المصرية.
- النظم الإسلامية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م .
- تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٦. خضير عباس غضبان: تأثير فن الحرب العربي على العالم، ١٩٧٨م .

٢٧. دكسن (عبد الأمير): الخلافة الأموية، بيروت، ١٩٧٣م .

٢٨. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة .
٢٩. عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م .
٣٠. عبد الرحمن ذكي:
- السلاح في الإسلام، القاهرة، ١٩٥٦م .
- السيف في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٧م .

٣١. العلي (صالح أحمد): التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٣م .
٣٢. عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ط. ١٩٧٠م.
٣٣. د. محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م .
٣٤. محمد حلمي أحمد: الخلافة والدولة في العصر الأموي، ط٢، ١٩٧٤م .
٣٥. نافع توفيق العبود: آل المهلب ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن ٤هـ، ط١، بغداد، ١٩٧٩م.

الكتب المعربة:

٣٦. الطرسوسي (مرضي بن علي): تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، ترجمة: كلود كامين، بيروت، ١٩٠٤م .
٣٧. كي ليسرنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م .
٣٨. هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، وآخرين، بيروت، ١٩٦٤م.
٣٩. يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: د. حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م.